التوحيد

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

الإنترنت.. والتنصير!!

المسلمون فى أمريكا

العولمة رؤية إسلامية

نكاح الهبة.. ونكاح المتعة

السنة السابعة والعشرون - العدد الرابع - ربيع الآخر ١٤١٩
الثمن ٧٥ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

التحرير
٨ شارع قوله
عابدين - القاهرة
☎ : ٣٩٣٦٥١٧
فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
☎ : ٣٩١٥٤٥٦

الاشتراك السنوي :
١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية باسم : مجلة التوحيد- على مكتب عابدين .
٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بريدية على مكتب عابدين أو بنك فيصل الإسلامي- فرع القاهرة- باسم: مجلة التوحيد- أنصار السنة (حساب رقم/ ١٩١٥٩٠).

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام (المسلمون فى امريكا) ٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير (الإنترنت ..والتنصير) ٦
باب التفسير : الشيخ عبدالعظيم بدوى
(الترغيب فى التوبة والحث عليها) ١٢
باب السنة : الرئيس العام (العدة والحداد) ١٦
موضوع العدد : الشيخ محمود غريب
(نكاح الهبة ونكاح المتعة) ٢٢
اسئلة القراء عن الاحاديث: (الشيخ ابو إسحاق الحوينى) ٢٦
الفتاوى : ٣٠
مذكرة دفاع : الشيخ مصطفى درويش ٣٥
باب السيرة : الشيخ عبدالرازق السيد عيد
(يوسف عليه السلام فى السجن) ٣٨
عقائد الصوفية : أ.محمود المراكبى
(الحقيقة المحمدية عند السلف الصالح) ٤٢
حكم الاحتفال بالمولد النبوى: د. سعيد بن مسفر القحطانى ٤٦
بلاغة التكرار فى سورة الرحمن د.سيد خضر ٥١
ماوراء الأخبار : جمال سعد حاتم
(هذه هى امريكا وهؤلاء هم اليهود فماذا انتم فاعلون) ٥٤
باب الأدب: د.السيد عبدالحليم (الايمان ومزاياه "٣") ٥٨
العولمة رؤية إسلامية: د.الوصيف علي حزة ٦٢

رئيس التحرير
صفوت الشوادفى

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

مع القراء

من فوائد التطوير

إلى الذين نادوا بتطوير الأزهر وخفض سنواته.

إلى الذين ساهموا فى تخفيض مناهج العلوم الشرعية فى المعاهد الأزهرية!

نزف هذه البشرى:

نسبة النجاح لهذا العام بالإعدادية الأزهرية ٣٦,٦٪ وهى نسبة سيئة للغاية حققتها أول دفعة سيطبق عليها نظام الثلاث سنوات، وأول دفعة تم تخفيض مناهجها لتكون أيسر وأسهل !

وإذا قورنت هذه النسبة بمثيلتها عام ١٩٩٥م سنجد أنها كانت ٤٩٪ تقريبا عندما كانت تدرس المناهج الأزهرية القديمة بكاملها وعلى رأسها حفظ القرآن بالأبتدائية.

سمع الجميع من المذيع عبارة "معهد كذا لم ينجح أحد" !!

ونخشى أن يأتى يوم يقال فيه " فى هذا العام لم ينجح أحد "!!

رحم الله سلفنا وجعل غدنا خيراً من يومنا.

رئيس التحرير

اقرأ في العدد القادم

الســـــواك

الرئيس العام

حوار مع الفاتيـــكان

مصطفى درويش

يوسف عليه الســـلام

عبد الرازق السيد

- التوزيع في الخارج : مكتبة المؤيد بالرياض .

- التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة.

ثمن النسخة السعودية ٦ ريالات الامارات ٦ دراهم الكويت ٥٠٠ فلس المغرب دولار امريكى الاردن ٥٠٠ فلس السودان ١.٥٠ جنيه مصرى العراق ٧٥٠ فلس قطر ٦ ريالات - مصر ٧٥ قرشا - عمان نصف ريال عمانى

الافتتاحية

المسلمون في أمريكا

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين محمد وآله وصحبه . وبعد :

فإن للدعوة الإسلامية في بلاد المسلمين أهمية عظمى ، حيث يعيش المسلم بإسلامه ، فلا يرى غربة في دينه وبلده ، ويتعلم عقيدته وعبادته وسلوكه وأحكام معاملاته .

والدعوة الإسلامية في بلاد الكفر بين المسلمين المقيمين فيها والوافدين إليها إنما هي للمحافظة على رأس المال أي على المسلمين الذين يعيشون بها ، فتعين المسلم ليحيا في بيته وزوجه بالإسلام ، فلا تجرفهم تيارات الشهوات والشبهات لعلهم أن يبقوا بإسلامهم الذي اعتنقوه ، واقتنعت به أفئدتهم وقلوبهم.

والدعوة الإسلامية لها رونق وبريق ليس من بريق المسلمين ، ولا الدعاة ، إنما هو من جمال الإسلام نفسه ؛ لأن الله رضيه ، فقال : ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، فهو جمال الرضا وبريق الكمال ، أما غير الإسلام فإنما يحمل التناقض والتنافر بين الفطرة والسلوك ، وبين الاعتقاد والعقل ؛ لذا فإن أهله على كثرة ما يسمعون من الدعوة إليه فلا يدخل إلى قلوبهم شيء ولا تصدق عقولهم قول ، ولا تطمئن إليه نفوسهم ، فيشرع كل واحد منهم ليتخذ لنفسه دينًا ومنهجًا غير الذي تعلمه وسمعه ، ذلك حتى يوافق بين عقله وفطرته من جانب ، وبين ما يُلقنه ويعلمه من جانب آخر ، ولا يفلح ذلك كله ليحدث التوافق بين القوم وبين دينهم ، لذا ترى الجمهرة الغالبة منهم اليوم تعيش كالحيوانات : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوًى لهم ﴾ [محمد : ١٢] ، ذاك بأن

- **الدعوة الإسلامية في بلاد الكفر تعين المسلم ليحيا في بيته وزوجه بالإسلام، فلا تجرفهم تيارات الشهوات والشبهات لعلهم أن يبقوا بإسلامهم الذي اعتنقوه .**
- **يدخل الإسلام من غير المسلمين في أمريكا بالمئات .. ويخرج منها بالآلاف .**
- **أصول الغالبية الأمريكية حوالي ٧٠٪ من المسلمين ، مع أن المسلمين هناك قلة قليلة جدًا .**

الحيوان غير مكلف ، وهؤلاء مكلفون ، فعاشوا كالحيوان ولم يقوموا بتكليف : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، فكانوا للنار مستحقين ، وضرب اللّـه لهم المثل في قولـه : ﴿ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (١٧٧) من يهدِ الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨) ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يُبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [الأعراف : ١٧٧- ١٧٩] .

ويقول سبحانه : ﴿ أرأيت من اتخذ إلـٰه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ [الفرقان : ٤٣، ٤٤] .

ثم انظر معي بتدبر أيها الأخ الكريم لتلك الآية العظيمة من سورة « النور » نظرة تدبر وإمعان ، حيث يقول سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ [النور : ٣٩] .

ففي هذا المثل الكريم تصوير لأعمال الكافرين ، وهي جري وراء الشهوات ، وإفشاء للشبهات ، واستباحة للمحرمات ، فأعمال الكافرين كلها إنما يعملونها ليحصلوا على سعادة فقدوها بقوله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشةً ضنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] ، فيطلب زوال ذلك الضنك بتلك الشهوات ،

الافتتاحية

> ● إذا نظرت إلى أصحاب البشرة السوداء في أمريكا ستجدهم كثيرين ، وكلهم من أصول المسلمين الذين سرقهم الأوروبيون من إفريقيا وجعلوهم عبيدًا !!
>
> ● فئات كثيرة من الشعب الأمريكي تجد أشكالهم قريبة جدًا من أشكال العرب ، بل وأسماء الكثير منهم أسماء عربية ، بما يدل على أن لهم أصولاً إسلامية !!

فينظر إليهم الذين اشتد عليهم الظمأ من حولهم ، وغالبهم من الكافرين الذين ليس لهم دين يردع ، ولا خلق يمنع ، فيلهثون خلفهم يقلدونهم في أعمالهم شوقًا إلى سعادة مزعومة فيغرقون في تلك الشهوات ، حتى إذا جاءه الموت وجد الله والحساب ، فينال جزاء ما عمل .

هذا ، والمسلمون الذين يعيشون بين الكافرين ينظرون ذلك من حولهم ، فمن كثرة ما يشاهدون يحسبون أن القوم على شيء ، فيشرعون في تقليدهم ، فيشتد بهم العطش ؛ لأن ما حرم الله لا يزيد صاحبه إلا ظمأ .

هنا نعلم أن جمهرة كثيرة من أبناء المسلمين ، بل وبعض المسلمين(١) أنفسهم يجرون وراء هذه الحرمات ، فيعيشون كمعيشة الكافرين ، فينسى أبناؤهم أنهم مسلمون ، لذا فإنك لا تجد للمسلم الذي يهاجر من بلاد الإسلام ، ولا للمسلم الذي دخل الإسلام في بلاد الكفر ، لا تجد له حفيدًا مسلمًا ، يعني أن المسلمين في بلاد الكفر يخلفون من ورائهم عشرات ملايين الكفار ، بغير ضجيج ولا عويل على خروجهم من الإسلام ، مع أن المسلمين في بلاد الكفر وكذلك بلاد الإسلام يطبلون ويفرحون لكافر واحد دخل الإسلام ، مع أنه لا يستطيع الثبات على دينه ، طالما هو بين الكفر وصخبه وجلبه وشهواته ، فضلاً عن أن يحتفظ بإسلام ذرية له من بعده .

لذا فإنك ترى المسلمين في بلاد الكفر مثل أمريكا ، إما مسلمًا وفد من بلاد المسلمين ، أو كافرًا دخل في الإسلام ، أما الأبناء فقلة قليلة ، أما الأحفاد فهم كعنقاء المغرب .

---

(١) لا تعجب من التفريق بين المسلمين وأبناء المسلمين ، فذلك مكمن الداء في بلاد الكفر ، فإن المألوف أن ترى من يقول لك : لست مسلمًا ، لكن أبي كان مسلمًا .

هذا ولقد نظرت فرأيت في أمريكا عدد أصحاب البشرة السوداء فيها كثير جدًا ، وكلهم من أصول المسلمين الذين سرقهم الأوروبيون من أفريقيا وجعلوهم عبيدًا ، وبفعل الواقع الذي يعيشونه نسوا أن الآباء كانوا مسلمين ، فعاشوا كافرين بين الكافرين ، وقلدوهم في عقيدتهم وعبادتهم ، فضلاً عن حملات التنصير المتعمدة على التجويع في بلاد أفريقيا السوداء .

ثم نظرت فرأيت اللغة الثانية في أمريكا هي الأسبانية بما يوحي أن لهم عددًا كبيرًا ووجودًا وانتشارًا ، ورأيت أشكالهم قريبة جدًا من أشكال العرب ، بل وأسماء الكثيرين منهم أسماء عربية ، بما يدل على أن الأصول إسلامية .

ويؤيد ذلك أن الملايين من أبناء المسلمين والذين لم يحاولوا التخلص من أسمائهم إذا سألته عن دينه إذ به يقول لك : إنه لا يعرفه ، أو يصرح لك بأنه ليس بمسلم .

هذه المشكلة تعني باختصار أن عدد من يدخل الإسلام من غير المسلمين بالعشرات أو المئات ، وأن من يخرجون من الإسلام إلى الكفر بالآلاف والملايين ؛ وأن أصول الغالبية الأمريكية ، أي حوالي ٧٠٪ منهم من أحفاد المسلمين مع أن المسلمين الآن هناك قلة قليلة جدًا .

ولعلي أطرح في ذلك بعض الحلول الواجبة للمحافظة على رأس المال ، وهي أيضًا وسيلة كسب غير المسلمين للإسلام :

١- تعليم الإسلام الصحيح لكل المسلمين في بلاد الإسلام ، والعناية التامة بذلك ، حتى لا يخرج من بلده إلا المسلم الناصح الواعي .

٢- منع اغتراب المسلمين من بلاد الإسلام وذهابهم إلى بلاد الكفر ، إلا في الحدود الضيقة ، وبعد التحصن في دينهم .

٣- ألا يتقلد وافد من بلاد الكفر أو متعلم فيها موقعًا إعلاميًا ، فضلاً عن العناية بهم بعد رجوعهم لإزالة الشبهات التي حملوها فصدقوها .

٤- نشر الدعاة والمربين بين الأقليات الإسلامية في بلاد الكفر .

٥- إتاحة الفرصة لأبناء المسلمين في الغرب أن يفدوا إلى بلاد الإسلام ليتعلموا الإسلام والقرآن ولغة القرآن.

٦- بناء المساجد والمدارس الإسلامية ، وإحسان إدارتها ، والاهتمام بتعلم القرآن ولغته منها بتلك المدارس ، وهذه من أهم الأعمال التي يحتاجها المسلمون هناك .

٧- تجمع المسلمين في مدن ومساكن متقاربة ، محاولة لمنع الذوبان في الكفر والكافرين .

والله من وراء القصد .

وكتبه : محمد صفوت نور الدين

كلمة التحرير

الإنترنت...

بقلم رئيس التحرير

صفوت الشوادفي

﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

ثلاث حقائق في ثلاث آيات :

الأولى تتحدث عن الأموال الطائلة والمبالغ الخيالية التي ينفقها أعداء الإسلام في الصد عن سبيل الله وهو الإسلام ، ثم يجنون ثمرتها حسرة وندامة في الدنيا والآخرة ؛ فلقد رأينا آية عجيبة مضمونها أنه كلما زادت الأموال التي ينفقونها في محاربة الإسلام والكيد له والصد عنه زاد عدد الداخلين من أبناء جنسهم في الإسلام ؛ وهذا - والله أعلم - من أعظم الحسرة ، ولهذا كانت النهاية في هذه الآية : ﴿ ثم يُغلبون ﴾ !!

وهي بشري صادقة يسوقها القرآن للمؤمنين الصادقين .

وأما الآية الثانية فتقرر حقيقة ينبغي ألا تنسى ، والآية أوضح من أن تشرح !!

وأما ثالثة الحقائق ففي الآية الثالثة ، وهي تنهى عن الوهن - وهو الضعف - وعن الحزن ، وتبشر بعلو الإسلام وأهله ، بشرط أن يكونوا مؤمنين صادقين لا منتسبين بالوراثة !!

والتنصير!!

ولقد حاول اليهود والصليبيون في قديم الزمان وحديثه أن يكيدوا للإسلام ويطعنوا في مصدريه : القرآن والسنة . فباءت كل محاولة لهم بالفشل . ولقد ظهرت منذ فترة يسيرة محاولة جديدة على شبكات الإنترنت تشتمل على محاكاة القرآن بتأليف أربع سور على نسقه !! وسب الرسول صلى اللَّه عليه وسلم والطعن في أحكام الشريعة ، والاستهزاء بها ، وتكرار الدعاوى الزائفة أن عيسى ابن اللَّه ، مع التأكيد في نفس المحاولة على أن اللَّه لم يتخذ ولدًا !؟ وأخيرًا التشكيك في مصدر القرآن !؟

وقبل أن نرد هذه الشبهات المتهافتة ؛ فإننا نلفت أنظار القراء إلى أن هذه المحاولة اليائسة لمحاكاة القرآن وقبول التحدي الوارد في مثل قول اللَّه : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ [البقرة : ٢٣] .

أقول : إنها امتداد لمحاولة مسيلمة الكذاب ، ومن على شاكلته من أهل الزيغ والضلال .

يقول صاحب الفضيلة العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه ((مناهل العرفان)) :

(وهل أتاك نبأ الخصم إذ هموا أن يعارضوا القرآن ؟ فكان ما أتوا به باسم المعارضة ، لا يخرج عن أن يكون محاولات مضحكة مخجلة ، أخجلتهم أمام الجماهير ، وأضحكت الجماهير منهم ، فباءوا بغضب من اللَّه وسخط من الناس ، وكان مصرعهم هذا كسبًا جديدًا للحق ، وبرهانًا ماديًا على أن القرآن كلام اللَّه القادر وحده ، لا يستطيع معارضته إنسان ولا جان ، ومن ارتاب فأمامه الميدان .

يذكر التاريخ أن مسيلمة الكذاب ؛ زعم أنه أوحى إليه بكلام كالقرآن ، ثم طلع على الناس بهذا الهذر : ((إنا أعطيناك الجماهر * فصل لربك

إن المؤامرة على الإسلام والمسلمين أكبر بكثير مما نفكر فيه ونتصوره، والمؤامرة على مصرنا العزيزة لها وجه قبيح لا يعرفه الكثيرون، والله من ورائهم محيط!!

وجاهر)) ، وبهذا السخف : ((الطاحنات طحنًا ، والعاجنات عجنًا ، والخابزات خبزًا)) ، وأنت خبير بأن مثل ذلك الإسفاف ليس من المعارضة في قليل ولا كثير ، وأين محاكاة الببغاء من فصاحة الإنسان ؟ وأين هذه الكلمات السوقية الركيكة ، من ألفاظ القرآن الرفيعة ومعانيه العالية ؟ وهل المعارضة إلا الإتيان بمثل الأصل في لغته وأسلوبه ومعانيه أو بأرقى منه في ذلك ؟

يقول حجة الأدب العربي ، فقيدنا الرافعي ، عليه سحائب الرحمة : إن مسيلمة لم يرد أن يعرض للقرآن من ناحية الصناعة البيانية ؛ إذ كانت هذه الناحية أوضح من أن يلتبس أمرها عليه ، أو أن يستطيع تلبيسها على أحد من العرب ، وإنما أراد أن يتخذ سبيله إلى استهواء قومه ، من ناحية أخرى ظنها أهون عليه وأقرب تأثيرًا في نفوسهم ، ذلك أنه رأى العرب تعظم الكهان في الجاهلية ، وكانت عامة أساليب الكهان من هذا السجع القلق الذي يزعمون أنه من كلام الجن ، كقولهم : ((يا جليح . أمر نجيح . رجل فصيح ، يقول : لا إله إلا اللّه)) ، البخاري في المناقب ؛ إسلام عمر فكذلك جعل يطبع مثل هذه الأسجاع في محاكاة القرآن ، ليوهمهم أنه يوحى إليه كما يوحى إلى محمد ، كأنما النبوة والكهانة ضرب واحد ، على أنه لم يفلح في هذه الحيلة أيضًا ، فقد كان كثيرون من أشياعه يعرفونه بالكذب والحماقة ويقولون : إنه لم يكن في تعاطيه الكهانة حاذقًا ولا في دعوى النبوة صادقًا ، وإنما كان اتباعهم إياه كما قال قائلهم : ((كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر)) .

ويروي التاريخ أن أبا العلاء المعري وأبا الطيب المتنبي وابن المقفع ، حدثتهم نفوسهم مرة أن يعارضوا القرآن ، فما كادوا يبدءون في هذه المحاولة ، حتى انتهوا منها بتكسير أقلامهم وتمزيق صحفهم ؛ لأنهم لمسوا بأنفسهم وعورة الطريق واستحالة المحاولة .

وتحدثنا الأيام القريبة أن زعماء البهائية ، والقاديانية وضعوا كتبًا يزعمون أنهم يعارضون بها القرآن ، ثم خافوا وخجلوا أن يظهروها للناس ، فأخفوها ولكن على أمل أن تتغير الظروف ويأتي على الناس زمان تروج فيه أمثال هذه السفاسف ، إذا ما استحر فيهم الجهل باللغة

نحن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم اللّه ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونصلي ونسلم على عيسى ، عليه السلام ، ونعتقد أنه بشر يوحى إليه كإخوانه الأنبياء ، وأمه ، عليها السلام ، صديقة طاهرة .

العربية وآدابها ، والدين الإسلامي وكتابه ، ألا خيبهم الله وخيب ما يأملون) . اهـ .

نعود إلى ما بثته شبكات الإنترنت بشأن محاكاة القرآن والطعن في الشريعة ، فنقول :

لقد فشلت جميع المحاولات التي بذلها الصليبيون لإقناع الشعوب الفقيرة في آسيا وإفريقيا للدخول في النصرانية والإيمان بالإنجيل !! ولهذا فإننا نرى أن هذا الحدث الجديد يبشر بنصر من الله وفتح قريب !! عدول المنصرين عن الدعوة إلى الإيمان بالإنجيل إلى محاكاة القرآن هو اعتراف بالفشل ، وبأن الإنجيل بعد تحريفه وتبديله لم يعد قادرًا على هداية أتباعه ، فضلاً عن أعدائه !!

لقد اختلق الصهاينة والصليبيون معًا أربع سور كلها هراء وهواء بلغة عربية ركيكة يسخر منها أهل الفصاحة والبيان ، فكيف تكون من كلام رب العالمين !؟

وأطلقوا على الفرية الأولى اسم ((سورة الإيمان)) ، وهي عشر جمل ساقطة هابطة صوروا فيها الرب على أنه ركب السفينة مع أحد الحواريين ، فسكنت بعد أن عصفت بها الريح ! وأعلنوا - كعادتهم - أن المسيح هو ابن الله ؛ وهو كفر صريح ، وقد نزه الله نفسه عن ذلك . تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

ثم في الفرية الثانية ((سورة التجسد)) قالوا : ((لو شاء ربكم لاتخذ من الحجارة أولادًا له)) !! ثم قالوا بعدها : ((سبحان رب العالمين أن يتخذ من خلائقه ولدًا)) .

ثم في نفس السورة المختلقة قالوا عن المسيح ، عليه السلام : ((وإلى أبيه السماوي بعد ثلاثة أيام صعد)) !!

فالله عندهم منزه عن الولد ، وهو أب وله ابن في نفس الوقت !! فهل يوجد في الكون بأكمله تناقض كهذا !؟

وفي الفرية الثالثة سب صريح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قالوا - وبئس ما قالوا -: ((وإذ قال الله : يا محمد ، أغويت عبادي وجعلتهم من الكافرين ، قال : ربي إنما أغواني الشيطان ، إنه كان لبني آدم أعظم المفسدين)) !!

> اختلق الصهاينة والصليبيون معًا سورًا كلها هراء وهواء بلغة عربية ركيكة يسخر منها أهل الفصاحة والبيان ، فكيف تكون من كلام رب العالمين !؟

وصدق الله القائل في قرآنه : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ [آل عمران : ١٨٨] ، فهذا بعض ما عندهم من حسد وحقد وعداوة وبغض ، وما خفي كان أعظم !!

وفي الفرية الرابعة والأخيرة استهزاء بأحكام الشريعة ، كله كذب وافتراء لا يستحق ثمن المداد الذي يكتب به الرد ؛ لأنه كلام ساقط متهافت .

وفي آخر الفرية الأخيرة اتهام للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه كان يتلقى الوحي من ورقة بن نوفل ، وهي فرية قديمة نبه القرآن على أصلها في قوله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ [النحل : ١٠٣] .

يقول العلامة الزرقاني : يقولون : إنه صلى الله عليه وسلم كان يلقى ورقة بن نوفل فيأخذ عنه ويسمع منه ، وورقة لا يبخل عليه ؛ لأنه قريب لخديجة زوج محمد ، يريدون بهذا أن يوهموا قراءهم وسامعيهم بأن هذا القرآن استمد علومه من هذا النصراني الكبير الذي يجيد اللغة العبرية ويقرأ بها ما شاء الله .

وندفع هذه الشبهة بمثل ما دفعنا به ما قبلها ، ونقرر أنه لا دليل عندهم على هذا الذي يتوهمونه ويوهمون الناس به ، بل الدليل قائم عليهم ، فإن الروايات الصحيحة تثبت أن خديجة ذهبت بالنبي صلى الله عليه وسلم حين بدأه الوحي إلى ورقة ، ولما قص الرسول صلى الله عليه وسلم قصصه قال : هذا هو الناموس الذي أنزل الله على موسى ، ثم تمنى أن يكون شابًا فيه حياة وقوة ينصر بهما الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤازره حين يخرجه قومه ، ولم تذكر هذه الروايات الصحيحة أنه ألقى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عظة أو درس له درسًا في العقائد أو التشريع ، ولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتردد عليه كما يتوهمون أو يوهمون ، فأنى لهم ما يقولون ؟ وأي منصف يسمع كلمة ورقة هذه ولا يفهم منها أنه كان يتمنى أن يعيش حتى يكون تلميذًا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وجنديًا مخلصًا في صفه ينصره ويدافع عنه في وقت المحنة ، ولكن القوم ركبوا رءوسهم على رغم ذلك ، وحاولوا قلب الأوضاع وإيهام

تحدثنا الأيام القريبة أن زعماء البهائية والقاديانية وضعوا كتبًا يزعمون أنهم يعارضون بها القرآن الكريم ، ثم خافوا وخجلوا أن يظهروها للناس ، فأخفوها ولكن على أمل أن تتغير الظروف ويأتي على الناس زمان تروج فيه أمثال هذه السفاسف !!

أن ورقة هو الأستاذ الخصوصي الذي استقى منه محمد صلى الله عليه وسلم دينه وقرآنه : ﴿ ألا ساء ما يحكمون ﴾ [النحل : ٥٩] . اهـ .

ونريد في هذا المقام أن نؤكد على عقيدتنا الراسخة ، فنحن نؤمن بالتوراة التي نزلت على موسى ، عليه السلام ؛ ونكفر بالتوراة التي ألفها اليهود ، فغيروا وبدلوا وحرّفوا ! ونحن نؤمن بالإنجيل الذي نزل على عيسى ، عليه السلام ، ونكفر بالإنجيل الذي صنعه المنصرون ، فحرفوا وبدلوا ، حتى أصبح في أيديهم أناجيل كثيرة ؛ وكل طائفة منهم تؤمن بإنجيلها وتكفر بإنجيل غيرها !!

ونحن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم اللّه ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونصلي ونسلم على عيسى ، عليه السلام ، ونعتقد أنه بشر يُوحى إليه كإخوانه الأنبياء ، وأمه ، عليها السلام ، صديقة طاهرة ، وأن مثله عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب .

بقي أن يقال : إن المؤامرة على الإسلام والمسلمين أكبر بكثير مما نفكر فيه ونتصوره ، والمؤامرة على مصرنا العزيزة لها وجه قبيح لا يعرفه الكثيرون ، قد أفصح عنه القسيس بولس - أحد المنصرين - في مقال نشرته مجلة أمريكية سنة ١٩٨٠ م جاء فيه : (إن جمهورية مصر العربية يمكنها أن تتحول كلية إلى جمهورية مسيحية ، لقد زرت القاهرة مبشرًا بالديانة المسيحية قبل خمسة وعشرين عامًا ، لكنني لم أجد أمامي إلا الصمود وعدم المبالاة بما أقول !! لكنني زرت مصر مرة أخرى عام ١٩٨٠ م ، ومعي جماعة من المبشرين للضغط على الرئيس المصري أنور السادات لكي نوصل البث الإعلامي من محطات التلفزيون الأمريكية إلى مصر ، وخاصة منطقة سيناء بالذات ، فرحب الرئيس المصري بالفكرة ، وبدأنا فعلاً العمل في منطقة سيناء ؛ وهذا نصر أكيد للمسيحية في جمهورية مصر العربية ، إننا بواسطة تلك المحطة التي سنقيمها في سيناء سنتمكن من الدخول على قلوب كثير من المصريين ، وسنبث النشاط التبشيري المسيحي بينهم ، وبهذا سنتمكن من القضاء على الإسلام في مصر)[١] !! واللّه من ورائهم محيط . صلى اللّه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

---

(١) « منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل » (ص ١٠٩ ، ١١٠) .

نلفت أنظار القراء إلى أن المحاولة اليائسة لمحاكاة القرآن امتداد لمحاولة مسيلمة الكذاب ومن على شاكلته من أهل الزيغ والضلال ، فكل ما أتوا به لا يخرج أن يكون محاولة مضحكة مخجلة !!

باب
التفسير

الترغيب في التوبة والحث عليها

بقلم الشيخ / عبد العظيم بدوي

قال تعالى: ﴿ إنما التوبة على اللّه للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب اللّه عليهم وكان اللّه عليمًا حكيمًا (١٧) وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا ﴾

[النساء: ١٧، ١٨].

يقول النبي صلى اللّه عليه وسلم: «كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون»[١].

ومن الحكم الذائعة: ليس من العيب أن تخطئ، ولكن من العيب أن تتمادى في الخطأ.

فعلى الإنسان إذا اجتالته الشياطين فترك الواجبات، أو فعل المحرمات أن يبادر بالتوبة إلى اللّه تعالى والرجوع إليه، وأن يغتنم فرصة إمهال اللّه له، فإن اللّه من رحمته بعباده لا يعجل لهم العقوبة، مع أنه القوي المتين ذو البطش الشديد، وأمره بين الكاف والنون، لكنه سبقت رحمته غضبه، فلذلك يمهل العصاة ولا يعجل لهم العقوبة، لعلهم يتوبون فيتوب عليهم، ويستغفرون فيغفر لهم، فمن أمهله اللّه فغرّه باللّه الغرور وأصر على ذنبه ولم يتب منه، أخذه اللّه أخذ عزيز مقتدر، ولذا قال تعالى: ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً ﴾ [الكهف: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ ولو يؤاخذ اللّه الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى

أجل مسمًّى فإذا جاء أجلهم فإن اللَّه كان بعباده بصيرًا ﴾ [فاطر : ٤٥] .

وقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « إن اللَّه ليملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته »(٢) ، ثم قرأ قول اللَّه تعالى : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ [هود : ١٠٢] .

فعلى العصاة والمذنبين أن يعجلوا بالتوبة ، حتى يتوب اللَّه عليهم ، فإن التوبة من الذنوب واجبة لأمر اللَّه بها ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا إلى اللَّه توبة نصوحًا ﴾ [التحريم : ٨] ، وقال تعالى : ﴿ وتوبوا إلى اللَّه جميعًا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور : ٣١] .

ولقد رغب اللَّه سبحانه عباده في التوبة ، فقال : ﴿ إن اللَّه يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

وقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « للَّه أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح »(٣) .

والمتتبع لهذه السورة - سورة « النساء » - يجد أن اللَّه تعالى عرض التوبة على جميع طوائف الناس ورغبهم فيها ؛ فعرضها في هذا الموضع على الزناة ، ثم عرضها على الذين يختانون أنفسهم ، فقال : ﴿ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللَّه يجد اللَّه غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] ، ثم عرضها على المنافقين فقال : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ۝ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا باللَّه وأخلصوا دينهم للَّه فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت اللَّه المؤمنين أجرًا عظيمًا ﴾ [النساء : ١٤٥، ١٤٦] .

ثم عرضها على الذين قالوا : إن اللَّه ثالث ثلاثة ، فقال : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول اللَّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا باللَّه ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرًا لكم ﴾ [النساء : ١٧١] ، وقال في سورة « المائدة » : ﴿ أفلا يتوبون إلى اللَّه ويستغفرونه واللَّه غفور رحيم ﴾ [المائدة : ٧٤] .

كما عرضها في موضع آخر على الذين قتلوا أولياءه ، فقال في سورة « البروج » : ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ [البروج : ١٠] .

فعلق عذابهم على عدم التوبة ، ففهم أنهم لو تابوا لم يعذبهم ، ولذلك قال الحسن : انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة(٤) .

ومعنى هذا الترغيب النهي عن اليأس من رحمة اللَّه مهما كان الذنب ، كما قال تعالى : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

عن ابن عباس ، رضي اللَّه عنهما ؛ أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، ثم أتوا محمدًا صلى اللَّه عليه وسلم فقالوا : إن الذي تقول وتدعو لحسن ، ولو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزل : ﴿ والذين لا يدعون مع اللَّه إلهًا آخر ولا يقتلون

النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] ، ونزل : ﴿ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣](٥) .

إن الله عز وجل واسع المغفرة ، ورحمته وسعت كل شيء ، وعلاقته سبحانه بعباده علاقة تقوم على الرحمة : ((خلق الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا ، وأنزل جزءًا واحدًا إلى الأرض ، فبه يتراحم العباد حتى إن الدابة لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه))(٦) .

قال تعالى : ﴿ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ﴾ [الأنعام : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

فيا عباد الله ؛ أنيبوا إلى ربكم وأسلموا له واستغفروه ، ثم توبوا إليه ، فإن الاستغفار سببٌ للخيرات والبركات وتوسيع الأرزاق ، قال تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجل مسمًّى ويؤت كل ذى فضلٍ فضله ﴾ [هود : ٣] .

وقال تعالى على لسان هود ، عليه السلام : ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يُرسل السماء عليكم مدرارًا ويزدكم قوةً إلى قوتكم ﴾ [هود : ٥٢] ، وقال تعالى على لسان نوح ، عليه السلام : ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا (١٠) يُرسل السماء عليكم مدرارًا (١١) ويمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهارًا ﴾ [نوح : ١٠-١٢] .

واعلموا عباد الله أن التوبة من الذنوب واجبة على الفور ، ولا يجوز تأخيرها ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ [النساء : ١٧] ، وقد مدح الله تعالى التائبين من قريب ووعدهم بالمغفرة ، فقال : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يُصروا على ما فعلوا وهُم يعلمون (١٣٥) أولئك جزؤهم مغفرةٌ من ربهم وجناتٌ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ [آل عمران : ١٣٥، ١٣٦] .

فمن أصرَّ على الذنب وأخَّر التوبة فإنه يخشى عليه أن يسود قلبه بكثرة الذنوب ، ويغلف حتى يطبع عليه ويختم ، كما قال تعالى : ﴿ كلا بل رَانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين : ١٤] ، وحينئذ تعزّ التوبة ، وتندر ، ويخشى على المسوف سوء الخاتمة ، وقد قيل : إن أكثر صياح أهل النار : واحسرتاه من سوف !!

هذا ، وإن للتوبة النصوح شروطًا :

الأول : الإقلاع عن الذنب ، بأن يخلع نفسه من الذنب ، كما يخلع قميصه ، أما أن يظل متلبسًا بالذنب ويقول : اللهم اغفر لي ، فيقول الله له : تحوّل عن الذنب وأنا أغفر لك .

الثاني : الندم على ما فات ، والتأسف عليه ، والبكاء من خشية الله كلما ذكر ذنبه .

الثالث : العزم على أن لا يعود إلى هذا الذنب أبدًا .

الرابع : أن تقع التوبة حال الصحة والعافية قبل اليأس من الحياة ومعاينة ملائكة الموت ، لقوله تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت

الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا ﴾ [النساء : ١٨] .

ولذلك قال اللَّه تعالى عن أقوام : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴿٨٣﴾ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴿٨٤﴾ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التى قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ [غافر : ٨٣- ٨٥] .

وقال تعالى عن فرعون : ﴿ وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين ﴿٩٠﴾ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴿٩١﴾ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرًا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ [يونس : ٩٠- ٩٢] .

الخامس : إذا كان الذنب متعلقًا بعباد اللَّه فإن على التائب أن يرد على العباد حقوقهم إذا استطاع ، وأن يتحللهم إن أمكن ، فإن عجز عن ردّ الحقوق ، أو خاف من التحلل مفسدة ، فعليه بالإكثار من الدعاء لهم والاستغفار .

ولا بد للتائب حتى تصح توبته ويثبت عليها من تغيير الصحبة التي كان يصاحبها قبل التوبة ، وتغيير البيئة التي كان يعيش فيها ، وإلا فإنه إذا حافظ على صحبة الأشرار بعد التوبة ، فإنه تخشى عليه الانتكاسة والردة .

ولذلك صح في الحديث عن أبي سعيد الخدري ، رضي اللَّه عنه ؛ أن نبي اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : ((كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على راهب ، فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله ، فكمّل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسًا يعبدون اللَّه فاعبد اللَّه معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى اللَّه ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط ، فأتاهم ملكٌ في صورة آدمي فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة))[٧] .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين .

---

(١) حسن ، رواه الترمذي (٢٦١٦/٧٠/٤) ، وابن ماجه (٤٢٥١/١٤٢٠/٢) .

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري (٤٦٨٦/٣٥٤/٨) ، ومسلم (٢٥٨٣/١٩٩٧/٤) ، والترمذي (٥١١٠/٣٥١/٤) ، وابن ماجه (٤٠١٨/١٣٣٢/٢)

(٣) صحيح ، رواه مسلم (٢٧٤٧/١٠٤/٢) .

(٤) ابن كثير : (٤٩٦/٤)

(٥) متفق عليه ، رواه البخاري (٤٨١٠/٥٤٩/٨) ، ومسلم (١٢٢/١١٣/١) ، والنسائي (٨٦/٧)

(٦) متفق عليه ، رواه البخاري (٦٠٠/٤٣١/١٠) ، ومسلم (٢٧٥٢/٢١٠٨/٤) ، والترمذي (٣٦١٠/٢٠٩/٥) مختصرًا ، وابن ماجه (٤٢٩٣/١٤٣٥/٢) .

(٧) صحيح ، رواه مسلم (٢٧٦٦/٢١١٨/٤) ، وهذا لفظه ، والبخاري مختصرًا (٣٤٧٠/٥١٢/٦)

باب السنة

العدة والحداد

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسوله محمد ، وآله وصحبه وسلم - ، أما بعد :

فقد تكلمنا في الحلقة الماضية عن حديث سبيعة الأسلمية ، رضي الله عنها ، وفي هذه الحلقة نكمل حديثنا حوله أيضًا ، فنقول وبالله تعالى التوفيق :

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم - في « صحيحيهما » قالت زينب بنت أبي سلمة : دخلت على أم حبيبة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حين توفى أبوها أبو سفيان ، فدعت أم حبيبة بطيب فيه صُفرة خلوق أو غيره ، فدهنت منه ثم مست بعارضيها ، ثم قالت : والله ما لي بالطيب من حاجة ، غير أني سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - يقول على المنبر : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا » . قالت زينب : ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها ، فدعت بطيب فمست منه ، ثم قالت : والله ما لي بالطيب من حاجة ، غير أني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول على المنبر: « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا » . قالت زينب : سمعت أمي أم سلمة تقول : جاءت امرأة لى رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - فقالت : يا رسول اللّه : إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها ، أفنكحلها ، فقال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - « لا » - مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول : « لا » - ثم قال : « إنما هي أربعة أشهر وعشر ، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول » ، قال حميد : فقلت لزينب : وما ترمي بالبعرة على رأس الحول ؟ فقالت زينب : كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشًا ولبست شر ثيابها ، ولم تمس طيبًا ولا شيئًا حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة - حمار ، أو شاة ، أو طير - فتفتض به ، فقلما تفتض بشيء إلا مات ، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره .

زينب بنت أبي سلمة

هي ربيبة النبي - صلى اللّه عليه وسلم - وابنة أبي سلمة أخو النبي - صلى اللّه عليه وسلم - من الرضاع ، حيث إنه هو ورسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - وحمزة بن عبد المطلب ثلاثتهم أرضعتهم ثويبة مولاة أبي لهب ، وزينب بنت أبي سلمة هذه أرضعتها أسماء بنت أبي بكر الصديق ، فهي أخت لأبناء الزبير من الرضاع ، وعائشة خالتها من الرضاع ، وقد دخلت بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمها ترضعها ، وكانوا قد سموها برة ، فغير

الحلقة الثانية

حث الإسلام على أن تكون المرأة تحت زوج دائمًا ؛ لذا جاء الإذن بالتعدد للزوجات حتى لا تبقى امرأة بغير زوج ، سوء بكر أو مطلقة ، أو مات عنها زوجها .

النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - اسمها إلى زينب .

وزينب بنت أم سلمة نشأت في بيت النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - فمكثت سنوات طفولتها فيه ، وتعلمت من أمها ، بل من رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - فكانت أفقه النساء في زمان التابعين ، وزينب هذه روت ذلك الحديث عن ثلاثة من أمهات المؤمنين - رضوان اللَّه عليهم أجمعين-

الأولي : هي أم حبيبة بنت أبي سفيان ، رضي اللَّه تعالى عنها ، وروته عن وفاة أبيها أبو سفيان بن حرب - رضي اللَّه عنه - وهي من السابقين للإسلام ، هاجرت للحبشة وتنصر زوجها عبيد اللَّه بن جحش ، فتزوجها رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - أرسل للنجاشي فعقد عليها للنبي - صلى اللَّه عليه وسلم - وأصدقها عنه أربعمائة دينار ، وأما وفاة أبيها سفيان بن حرب ؛ فكانت في سنة إحدى وثلاثين بالمدينة ، عن نحو تسعين سنة ، وكان أبو سفيان رأس قريش يوم أحد والخندق والحديبية ، وله هنات وأمور صعبة ، لكن اللَّه تداركه بالإسلام يوم الفتح فأسلم كالمكره الخائف ، ثم مَن اللَّه عليه ، فحسن إسلامه بعد ، والإسلام يَجُب ما قبله ، حيث شهد الطائف ، فأصيبت عينه يومئذ ، وأصيبت الأخرى يوم اليرموك ، وهو يحرض على الجهاد تحت راية ولده يزيد ، يصيح بقوله : يا نصر اللَّه اقترب ، ويقول : اللَّه اللَّه ، إنكم أنصار الإسلام ودارة العرب ، وهؤلاء أنصار الشرك ودارة الروم ، اللهم هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك .

فكان ما حكته زينب بنت أبي سلمة من تطييب أم حبيبة بعد موته .

أما الثانية : فهي زينب بنت جحش ، زوج النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - تزوجها بعد طلاق زيد بن حارثة لها ، وكانت تقول لزوجات النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - زوجكن أهليكن ، وزوجني اللَّه من فوق سبع سماوات ، فأنزل اللَّه عز وجل قوله تعالى : ﴿ وإذ تقول للذى أنعم اللَّه عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق اللَّه وتخفى في نفسك ما اللَّه مُبديه وتخشى الناس واللَّه أحقُّ أن تخشـٰه فلما قضى زيدٌ منها وطرًا زوجنـٰكها ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، وكانت عائشة ، رضي اللَّه عنها ، تقول : لم يكن أحد من نساء النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - تساوينى في حسن المنزلة عنده إلا زينب بنت جحش .

وقالت عائشة : ما رأيت امرأة قط خيرًا في الدين من زينب ، وأتقى للَّه ، وأصدق حديثًا ، وأوصل للرحم ، وأعظم أمانة وصدقة ، وكانت أول نساء رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - لحوقًا به ، حيث توفيت سنة عشرين للهجرة ، وبذلك ففي هذا إشكالان :

الأول : حكاية زينب بنت أبي سلمة أنها دخلت عليها في وفاة أخيها ، ونعلم أن إخوتها ثلاث : عبد اللَّه ، وعبيد اللَّه ، وعبد ، والثالث يكنى (أبو أحمد) ، فأما الأول : فمات في غزوة أحد ، وأما الثاني عبيد الله بالتصغير : فهذا هو الذي كان زوجًا لأم حبيبة ، وتنصر ومات بالحبشة ، وأما الثالث المكنى بأبي أحمد : فهذا هو الشاعر الأعمى ، وقد شهد جنازتها ، يعني مات بعدها ؛ ولذا فإن ابن حجر قال : فلعله - أي المتوفى - أخ لأم ، أو أخ من رضاع .

والإشكال الثاني : في قول زينب بنت أم سلمة : (ثم دخلت على زينب) ، فحرف العطف ثم يفيد التراخي والترتيب ، وفي رواية البخاري : فدخلت على زينب - والعطف بالفاء يفيد الترتيب والتعقيب ، فلعل (ثم) هنا استخدمت بمعنى الواو التي تفيد مطلق الجمع ، حيث قال في « النحو الوافي » :- ومنها - وهذا قليل جائز ، أنها قد تكون بمعنى واو العطف فتفيد مطلق الجمع والاشتراك من غير دلالة على ترتيب بشرط وجود قرينة ، ومثاله قول ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم
واسم وفعل ثم حرف الكلم

أو لعله من الرواية بالمعنى تصرفًا من بعض الرواة ، ولعله ترتيب ذكر زينب ؛ أي ثم ذكرت دخولها على زينب بعد ذكر دخولها على أم حبيبة ، ولكن يمكن أن يحل ذلك الإشكال برواية لمسلم من قول زينب : توفي حميم لأم حبيبة ، فتكون تلك غير وفاة أبيها ، ويكون ذلك الحميم مات قبل موت زينب بنت جحش ، أي قبل سنة عشرين ؛ لأن أبا سفيان مات سنة إحدى وثلاثين - كما سبق - والله أعلم .

الثالثة : أم سلمة - رضي اللَّه عنها - وهي أم زينب التي روت الحديث ، ومن زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاة أبي سلمة ، رضي الله عنهما ، وموت أم سلمة كان في سنة إحدى وستين للهجرة .

والذي يظهر من الحديث أن الإحداد على الزوج أمر لازم دينًا ، وأما الإحداد على غيره فهو إذن يمكن أن يمنع منه الزوج ، فيعلم أنه يجوز الإحداد على غير الزوج من قريب ونحوه ثلاث ليال فما دونها ، فما زاد عليها فحرام لا يجوز ، وكأن هذا القدر أبيح لأجل حفظ النفس ومراعاة غلبة الطباع البشرية ، ولهذا تناولت أم حبيبة وزينب بنت جحش ، رضي اللَّه عنهما ، الطيب لتخرجا من عهدة الإحداد ، وصرحتا بأنهما لم تتطيبا لحاجة ، إشارة إلى أن آثار الحزن باقية عندهما ، لكنهما لا يسعهما إلا الامتثال لأمر الشرع ، وتقديمه على حظ النفس ، فضلاً عن العادة والعرف .

وفي الحديث النهي الصريح عن الاكتحال للمرأة في حدادها ، ولو كان علاجًا لمرض أصاب عينها ، وإنما ذلك ليس منعًا من التداوي ، ولكنه منع من التزين ؛ لأن الكحل يجمع بين التداوي والزينة ، وغير الكحل يمكن أن يحدث منه الدواء بدون زينة ؛ لذا جاء النهي الصريح عن الاكتحال في حدادها .

ففي الجاهلية كانت المرأة في حدادها لا تمس ماءً ، ولا تقلم ظفرًا ، ولا تزيل شعرًا ، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ، ثم تفتض بدابة أو طائر - أي : تحك جلدها به - فيموت من وسخ جسمها الذي انتقل إليه .

وفي حديث سبيعة جاء : (فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك - رجل من بني عبد الدار - فقال لها : ما لي أراك تجملت للخطاب ، ترجين النكاح ... إلخ) .

(تعلت من نفاسها) : لفظة تحتمل : طهرت من نفاسها ، وتحتمل بمعنى : استعلت من ألم نفاسها ؛ أي بدخولها فيه ، والراجح هنا الثاني ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أفتاها إذا وضعت أن تنكح إن شاءت ، وفي رواية : « حللت حين وضعت حملك » .

يقول ابن حجر : يجوز العقد عليها إذا وضعت ولو لم تطهر من دم نفاسها ، وبه قال الجمهور ، ومنه قول ابن شهاب عند مسلم - : ولا أرى بأسًا أن تتزوج حين وضعت ، وإن كانت في دمها ، غير أنه لا يقربها زوجها حتى تطهر .

وظاهر القرآن في قوله تعالى : ﴿ أن يضعن حملهنَّ ﴾ [الطلاق : ٤] علق الحل على الوضع ، وقصره عليه ، ولم يقل : إذا طهرت ، ولا إذا انقطع دمك ، فصح ما قاله الجمهور .

(تجملت للخطاب) : هذه الكلمة ذكرها الأئمة من أهل العلم والمحدثين دون نكير أو تفسير ، دل ذلك على أنهم لم يروا فيها من شيء مستهجن ؛ لأنهم عاشوا في عصور تلتزم بالشرع وتفهم الإسلام ، وتبني ما اشتبه عندهم بيانه إلى الواضح من مسائل الشرع ، لكن العلمانيين وزبانيتهم من المتلصصين الذين يسرقون الكلمات يتاجرون بها يستخدمون مثل تلك العبارات استخدامًا يظهر منه حبهم لشيوع الفاحشة ، ليحيق بهم قول الله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [النور : ١٩] ؛ لذا وجب أن نقف هنا وقفات :

الوقفة الأولى : أن المرأة التي مات زوجها تحد عليه أربعة أشهر وعشرًا ، فلا تتطيب في بيتها ، فضلاً عن خارجه ، فكأن من دخل بيتها فشم ريحًا علم أنها خرجت من عدتها ، ومعلوم أن الريح يدرك بالأنف ، ولو من وراء حجاب ، لذا فإن المرأة منهية عن التعطر إذا خرجت من بيتها ، أو مرت على رجال في غير حدادها ، أما في الحداد فلا تتطيب البتة ، فيعلم انتهاء عدتها إذا شم أحد منها ريحًا وهي في بيتها .

وكذلك تحد على زوجها بألا تلبس ثوبًا صبيغًا ؛ يعني أن يكون ثوبها على لون نسيجها من صوف ، أو وبر ، أو قطن ، أو كتان ، أي لا تتكلف في ذلك ثوبًا غير ما عندها ، ولا تلبس ثوبًا فيه زينة ، واستثنوا من ذلك ما كان صبغه لقذر أصابه بغير أن يكون ذلك لزينة ؛ كالأسود الذي لا لمعان فيه ، فكأن المرأة يظهر انتهاء عدتها على زوجها بلون ثيابها ، وإن كانت منتقبة يقال لها عندئذ : تجملت للخطاب ، بل إن جماعة من أهل العلم يمنعون الحادة من النقاب ، فكأنها إذا رئيت منتقبة دل ذلك على أنها تجملت للخطاب ، وذلك ما ذكره الخرقي في « المختصر » ، وابن قدامة في « المغني » ، وقال : فإن احتاجت إلى ستر وجهها أسدلت عليه كما تفعل المحرمة .

والمرأة منهية في حدادها أن تخرج نهارًا إلا لحاجة ، ولا ليلاً إلا لضرورة ، فإذا خرجت لصلة رحم أو عيادة مريض أو شهود صلاة في مسجد دل ذلك على خروجها من حدادها ، ويقال لها : تجملت للخطاب ، لذا علينا أن نتنبه لتلك الكلمات ، وأن نحذر من أن نحملها على عادة المعاصرين فنسيء الظن بجيل الصحابة الكرام ، رضي الله عنهم .

الوقفة الثانية : أن الإسلام يحث على أن تكون المرأة تحت زوج دائمًا ؛ لذا جاء الإذن بالتعدد للزوجات حتى لا تبقى امرأة بغير زوج ، سواء بكرًا ، أو مطلقة ، أو مات عنها زوجها ، وذلك ما يجعل المرأة دائمًا مرغوبة ، فيصبح عدد النساء دائمًا دون الكفاية للتعدد من الرجال ، وهذا هو الذي يرفع الله به الهوان عن المرأة ، فلا تحيا إلا في بيت ترى نفسها فيه

معززة مكرمة ؛ ولأن الله سبحانه وعدها بالخير في قوله : ﴿ وإن يتفرقا يُغنِ اللهُ كلاً من سعته ﴾ [النساء : ١٣٠] ، وهذا من محاسن الإسلام التي تغافل عنها الناس ، حتى ظنوها شرًا وهم لا يعلمون ، فلقد أخرجوا المرأة من حيائها ودفعوها للعمل ، وعرضوها للذئاب بدعوى حريتها ومساواتها للرجل ، فحدث لها ومنها الشقاء والنكد ، مع أن الشرع قد ضمن لها الرعاية والخير . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الوقفة الثالثة : أن حال الناس اليوم إفراط وتفريط ، فالمرأة مأذون لها في أن تحد على غير الزوج ثلاثة أيام ، ولا يجوز لها الزيادة ، ويجوز لزوجها منعها من الحداد على كل ميت غيره ؛ لأن الزينة حقه ، والحداد على غير الزوج ليس عليها بلازم ، إنما هو إذن فقط ، أما حدادها على الزوج فهو لازم أربعة أشهر وعشرًا .

وحال الناس اليوم أشد من الجاهلية الأولى ، حيث تحد المرأة على أبيها ، وعلى أخيها ، وعلى ولدها عامًا وقد تزيد ، وكثيرًا ما نرى الزوجة التي مات زوجها يمنعها أهلها من الزواج بعده ، ويرون كأن عارًا يلحقهم إن هي تزوجت بعد وفاة زوجها ، وقد يموت عنها وهي شابة صغيرة بعد أن ذاقت الحياة مع الأزواج ، ثم تمنع من ذلك ، وهذا مخالف لشرع الإسلام ، وقد تقع في الخطأ بذلك السبب وهي آثمة في وقوعها في الخطأ مهما كان يسيرًا ، لكن على كل من منعها الزواج مثل ذلك الإثم ، بل لو كان الذي منعها ولي لها فإن ولايته تسقط بمنعها وإعضالها عن الزواج ، وتنتقل الولاية للولي الذي بعده ، فإن لم يكن لها وليٌ غيره ، فالسلطان ولي من لا ولي له ، وما يعرض من مشكلات في ذلك الأمر شديد ينبغي أن نتنبه له ، وأن ننتقل عن حياة الجاهلية هذه .

حتى إن كثيرًا من الأبناء يمنعون أمهاتهم ، بل وأبيهم من الزواج بعد وفاة الزوج ، وكفى بذلك من العقوق الذي يحرم الجنة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

يقول ابن حجر : وفي قصة سبيعة من الفوائد أن الصحابة كانوا يفتون في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن المفتي إذا كان له ميل إلى شيء لا ينبغي له أن يفتي فيه لئلا يحمله الميل إليه على ترجيح ما هو مرجح كما وقع لأبي السنابل ، حيث أفتى سبيعة أنها لا تحل بالوضع لكونه كان خطبها فمنعته ، ورجا أنها إذا قبلت ذلك منه وانتظرت مضي العدة حضر أهلها فرغبوها في زواجه دون غيره .

وفيه ما كان من سبيعة من الشهامة والفطنة ، حيث ترددت فيما أفتاها به حتى حملها ذلك على استيضاح الحكم من الشارع ، وهكذا ينبغي لمن ارتاب في فتوى المفتي أو حكم الحاكم في مواضع الاجتهاد أن يبحث عن النص في تلك المسألة ، وفيه الرجوع في الوقائع إلى الأعلم .

وفيه مباشرة المرأة السؤال عما ينزل بها ولو كان مما يستحي النساء من مثله لكن خروجها من منزلها ليلاً يكون أستر لها كما فعلت سبيعة .

وفيه أن الحامل تنقضي عدتها بالوضع على أي صفة كان من مضغة أو علقة ، سواء استبان خلق الآدمي أم لا ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - رتب الحل على الوضع من غير تفصيل وهو الذي عليه الجمهور ، وخالف ابن دقيق العيد والشافعي .

وفيه جواز تجمل المرأة بعد انقضاء عدتها لمن يخطبها دون تبرج أو سفور ، بل بما يوافق الشرع المطهر .

وفيه أن المرأة لا يجب عليها التزويج لقولها في الخبر : (وأمرني بالتزويج إن بدا لي) ، فيكون معناه : وأذن لها ، وفي رواية ابن ماجه فقال : (إن وجدت زوجًا صالحًا فتزوجي) ، وعند أحمد : (إذا أتاك أحدًا ترضينه) . وفيه أن الثيب لا تزوج إلا برضاها من ترضاه ولا إجبار

لأحد عليها ، ولا يعني ذلك أن تزوج نفسها بغير ولي ، فكل نكاح لثيب أو بكر بغير ولي فهو باطل للأحاديث الصحيحة الكثيرة .

والنساء في حكم الخطبة على ثلاثة أقسام :

أحدها : التي تجوز خطبتها تعريضًا وتصريحًا ، وهي التي تكون خالية من الأزواج والعدد لا يستثنى منهن إلا من كانت مخطوبة لغيره ، وكانت إجابتهم له بقبول خطبته صريحًا .

الثاني : التي لا تجوز خطبتها لا تصريحًا ولا تعريضًا :

أ- وهي المرأة المتزوجة ؛ لأن ذلك قد يخببها على زوجها ، في حديث أبي داود وأحمد وابن حبان عن أبي هريرة ، رضي الله عنه : « من خبب زوج امرئ أو مملوكه فليس منا » . وقوله : « خبب » ؛ أي خدع أو أفسد .

ب- المرأة المطلقة طلاقًا رجعيًا ؛ لأنها زوجة تعتد من زوجها إذا مات وترثه .

الثالث : التي يجوز التعريض بخطبتها دون التصريح وهي :

أ- التي لا تزال في عدة الوفاة من زوجها ؛ لقوله تعالى : ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خِطبة النساء ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، ودليل النهي عن التصريح إذن الله تعالى لهم بالتعريض ، فلو كان التصريح جائزًا ما كانت حاجة لذكر التعريض .

ب- المعتدة من طلاق بائن بينونة كبرى (طلاق ثالث) ، وإن كره بعض أهل العلم ذلك ؛ لأن الفرق بينها وبين المعتدة من وفاة أن عدة الحيضات يمكن كتمانها أو الخيانة فيها أما عدة الأشهر : (أربعة أشهر وعشرة أيام) لا يمكن فيها ذلك .

التعريض في الخطبة : هو الكلام الذي يفهم به السامع مراده من غير تصريح ، وأمثلته أن يذكر نسبه لتسمعه أو يذكر رغبته أو حاجته إلى زوجة أو كلامًا يفيد من صفاتها ما يرغب فيه . مثل أن يقول : (رب راغب فيك) ، أو (من يجد مثلك) ، أو (وددت أن ييسر الله لي امرأة صالحة) .

أما التصريح : فذكر الألفاظ التي تحمل المعنى المباشر لا يقصد غيره .

هذه جملة من فوائد حديث سبيعة الأسلمية ، وفي الحديث تصوير للحياة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام ، فكرم المرأة كامل التكريم ، فصارت ترى بيتها وأهلها عونًا لها على طاعة ربها ، وترى كذلك وظيفتها في بيتها عون أهلها وزوجها وولدها على طاعة ربهم ، فكانت البيوت المسلم -ة تسعد أهلها وتعدهم للجنة في الآخرة .

ولذا فإنني أختم الكلمة بذكر هذا الحديث الذي أخرجه ابن ماجه والبيهقي وسند البيهقي صحيح عن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - وكانت عنده أم كلثوم بنت عقبة ، فقالت له وهي حامل : طيب نفسي بتطليقة ، فطلقها تطليقة ، ثم خرج إلى الصلاة ، فرجع وقد وضعت ، فقال : ما لها ؟ خدعتني خدعها الله ، ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : سبق الكتاب أجله اخطبها إلى نفسها .

فتدبر هذه أم كلثوم التي نزل بسببها آيات سورة « الممتحنة » : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجراتٍ فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمناتٍ فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ﴾ [الممتحنة : ١٠] ، وأم كلثوم هذه هاجرت في العام السابع من الهجرة ، ثم تزوجت بعبد الله بن رواحة الذي مات عنها في غزوة مؤتة ، ثم تزوجها الزبير بن العوام فطلقها ، وتلك قصتها ، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف ، حتى مات عنها وانجب منها ، ثم تزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده . و صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

موضوع العدد

نكاح الهبة ونكاح المتعة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد :

نكاح الهبة :

أجمع الفقهاء على أن عقد الزواج ينعقد باللفظ الصريح ، وهو لفظ الزواج أو النكاح ، وبكل لفظ مشتق منهما ، لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فانكحوهنَّ بإذن أهلهن ﴾ [النساء : ٢٥] .

ولقوله تعالى : ﴿ فلمَّا قضى زيدٌ منها وطرًا زوَّجناكها ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

فصيغة الزواج والنكاح وردت في القرآن الكريم كما وردت في السنة المطهرة ، وهي من الصيغ الصريحة في الزواج .

أما عقد الزواج بلفظ الهبة فأجازه الأحناف ، ولم يجزه جمهور الفقهاء .

وقد استدل الأحناف على ذلك بما يأتي :

١- قول المولى سبحانه وتعالى : ﴿ إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبيُّ أن يستنكحها ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

فالآية صرحت بأن عقد الزواج بلفظ الهبة صحيح ؛ لأن الله تعالى سمى العقد بلفظ الهبة نكاحًا ، حيث قال سبحانه : ﴿ أن يستنكحها ﴾ ، وهذا يدل على جواز النكاح بلفظ الهبة ، وإذا جاز هذا للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز للأمة كلها ؛ لأنها مأمورة بالاقتداء به واتباعه .

٢- النبي صلى الله عليه وسلم وأمته في عقد الزواج بلفظ الهبة سواء ، أما الخصوصية الواردة في الآية : ﴿ خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ [الأحزاب : ٥٠] إنما هي في جواز الزواج بدون مهر ، بدليل قوله سبحانه : ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ [الأحزاب : ٥٠] ، وذلك يفيد أن الخصوصية رفعت حرجًا ، والحرج في وجوب المهر الذي يلزمه مشقة السعي للحصول على المال ، وهو صلى الله عليه وسلم مشغول بالرسالة ، فالخصوصية للرسول صلى الله عليه وسلم أن الهبة تكون بدون مهر .

٣- يؤيد ذلك أن السيدة عائشة ، رضي الله عنها ، كانت تَعَيّر النساء اللاتي وهبن أنفسهن للرسول صلى الله عليه وسلم وتقول : ألا تستحي أن تعرض نفسها بدون صداق .

٤- عن سهل بن سعد ؛ أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : جئت لأهب لك نفسي ، فقام رجل من الصحابة وقال : يا رسول الله ، إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذهب

بقلم الشيخ :

محمود غريب الشربيني

رئيس أنصار السنة
بالمنصورة

فقد ملكتكها بما معك من القرآن)) .

فالحديث يدل على أن عقد الزواج تم بلفظ التمليك ، والهبة لفظ من ألفاظ التمليك ، فيجوز أن يتم بها عقد الزواج .

أما الجمهور : المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ؛ فقد استدلوا على عدم جواز عقد الزواج بلفظ الهبة بما يأتي :

١ - أن اللَّه سبحانه وتعالى خص رسوله صلى اللَّه عليه وسلم بهذه الخصوصية ، وهي جواز النكاح بلفظ الهبة بدون مهر ؛ لأن الآية تقول : ﴿ وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبيُّ أن يستنكحها خالصةً لك من دون المؤمنين ﴾ [الأحزاب : ٥٠] ؛ فإحلال المرأة عن طريق الهبة خاص به صلى اللَّه عليه وسلم بدليل : ﴿ خالصةً لك من دون المؤمنين ﴾ .

٢ - ما كان من خصوصيات الرسول صلى اللَّه عليه وسلم لا يحل أن يشاركه فيه أحد من أمته ، والآية دلت على أن هذا خاص به صلى اللَّه عليه وسلم ، والخصوصية تشمل النكاح بدون مهر ، وبلفظ الهبة ، فمن أين جئتم بجواز عقد النكاح لغير الرسول صلى اللَّه عليه وسلم بلفظ الهبة مع وجوب المهر ؟ وكيف تقولون بأن الخصوصية في المعنى دون اللفظ ، علمًا بأن اللفظ يتبع المعنى .

٣ - استدلال الأحناف بحديث سهل بن سعد الذي فيه : ((قد ملكتكها بما معك من القرآن)) ليس فيه دليل لهم ؛ لأنه جاء في بعض الروايات : ((اذهب فقد زوجتكها)) . وهي الأشهر ، كما أنه ليس كل ما يدل على التمليك ينعقد به النكاح ، فالعقد بلفظ الإجارة يدل على تمليك المنفعة ، ومع هذا لا ينعقد به عقد النكاح بإجماع الأحناف أنفسهم ، إلا ما ورد عن الكرخي ، وقد رد عليه الجمهور ، ومنهم الأحناف ، ومما يجدر التنبيه إليه هو أن الأحناف يقولون : إن الزواج ينعقد بكل لفظ وضع شرعًا لتمليك عين كاملة في الحال ، كلفظ الهبة إذا كانت على وجه النكاح ، فإذا قامت قرينة على خلاف ذلك ، كما لو طلب رجل من امرأة أن تهب نفسها له بدون شهود ولا تسمية مهر فقبلت ، فلا ينعقد النكاح ، وتكون المعاشرة المترتبة على ذلك حرامًا حرمة غليظة ، وأن الزواج لا يصح عندهم ، إلا بحضور شاهدين متوافرة فيهما الشروط المنصوص عليها ، ولا بد من مهر ، وإذا لم يسم في العقد وجب مهر مثل الزوجة ، ويجوز أن يكون المهر المسمى مؤجلاً ، كما يجوز تعجيله كله أو

بعضه ، والراجح : هو قول الجمهور ، الذين يقولون بأن النكاح بلفظ الهبة لا يجوز ، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه من خصوصياته ؛ ولأن أدلة الأحناف وإن كان لها وجاهتها وقوتها ، إلا أن النص ورد بالخصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح الهبة ، والذي يبدو أن المراد منه اللفظ والمعنى ، وحمله على المعنى دون اللفظ يحتاج إلى دليل ، ولا دليل على هذا ، وصيغ النكاح لا يجرى فيها القياس ، ويجب فيها الحذر والحيطة ؛ لأن فيها تحليل بُضعِ الأصلُ فيه الحرمة ، ولا يحل إلا بشروط خاصة ، لذا فإن ما ذهب إليه الجمهور هو الراجح ، حيث إن الهبة لا تحل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كانت هبة نكاح لفظًا ومعنى .

وقد ذهب الجمهور إلى أن الهبة وقعت من كثير من النساء ، منهم أم شريك ، وخولة بنت حكيم ، وليلى بنت الخطيم ، ووردت روايات كثيرة منها القوي ومنها الضعيف في أسماء الواهبات أنفسهن للزواج من الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه لم يكن عند الرسول صلى الله عليه وسلم منهن أحد ، وروي عن ابن عباس ومجاهد أنهما قالا : لم يكن عند الرسول صلى الله عليه وسلم امرأة مُوهبة .

وما قيل : إن ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة من الواهبات أنفسهن ، ضعيف جدًا ، ومعروف أنهما من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكنهما لم يكونا من الواهبات أنفسهن له ؛ لأن اللاتي وهبن أنفسهن لم يتزوج بواحدة منهن ، وما قيل خلاف ذلك فضعيف جدًا كما سبق .

نكاح المتعة :

ونكاح المتعة هو أن يقول الرجل للمرأة : متعيني بنفسك شهرًا ، أو شهرين ، أو مدة إقامتي في هذا البلد ، ويكون في بلد بعيد عن بلده ، على مهر قدره كذا وكذا ، وهو من أخطر العقود المحرمة على الإطلاق .

وسمي بالمتعة ؛ لأن الرجل ينتفع ويتمتع بالزواج إلى الأجل الذي حدده .

ولقد ذهب جماهير أهل العلم ببطلانه ؛ لأن المقصود من شرعية الزواج هو دوام العشرة وإقامة الأسرة ، وتربية الأولاد ، وذلك لا يتحقق إلا إذا كان عقد النكاح على التأبيد .

وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم هذا الزواج في وقت اضطر الناس إليه ، ثم نهى عنه ، وقد ثبت النهي عنه في أحاديث كثيرة ، مما جعل كثيرًا من أهل العلم يقطعون بحرمته ويحكون الإجماع على ذلك ، ومن هذه الأحاديث :

١- ما رواه البخاري ومسلم عن علي ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة ، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر .

٢- وعن سلمة بن الأكوع قال : رخَّص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيام ، ثم نهى عنها . رواه مسلم وأحمد .

٣- وعن سبرة الجهني ؛ أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة ، قال : فأقمنا بها خمسة عشر ، فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في متعة النساء ، فخرجت أنا ورجل من قومي ولي عليه فضل في الجمال وهو قريب من الدمامة مع كل واحد منا برد ، فبردي خلق ، وأما برد ابن عمي فبرد جديد غض ، حتى إذا كنا بأسفل مكة أو بأعلاها فتلقتنا فتاة – مثل البَكْرَة(١) العَنَطْنَطَة(٢) – فقلنا : هل لك أن يستمتع منك أحدنا ؟ قالت : وماذا تبذلان ، فنشر كل واحد منا برده ، فجعلت تنظر إلى الرجلين ، ويراها صاحبي تنظر إلى عِطفها ، فقال : إن برد هذا خَلَق ، وبردي جديد غض ، فتقول : برد هذا لا بأس به ثلاث مرار ، أو مرتين ، ثم استمتعت منها ، فلم أخرج حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم وأبو داود والنسائي .

٤- وقد روى مسلم وأحمد عن سبرة أيضًا :

أنه كان مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : « يا أيها ، الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن اللَّه قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء ، فَلْيُخلِ سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا » .

وقال الإمام النووي في شرح مسلم : والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين ، وكانت حلالاً قبل خيبر ، ثم حُرمت يوم خيبر ، ثم أبيحت يوم فتح مكة ، وهو يوم أوطاس لاتصالهما ، ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريمًا مؤبدًا إلى يوم القيامة .

وقال القرطبي : الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل ، وأنه حرم ، ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها ، إلا من لا يلتفت إليه من الروافض .

وقال الشوكاني في « نيل الأوطار » - بعد أن ذكر من العلماء من خالف الجمهور في تحريم المتعة -: ومع كل حال فنحن مقيدون بما بلغنا عن الشارع ، وقد صح لنا التحريم المؤبد ، ومخالفة طائفة من الصحابة له غير قادحة في حجيته ، ولا قائمة لنا بالمعذرة من الصحابة قد حفظوا التحريم وعملوا به ، ورووه لنا ، حتى قال ابن عمر ، رضي اللَّه عنهما ، فيما أخرجه ابن ماجه قال : لما ولي عمر بن الخطاب ، خطب الناس فقال : إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أذن لنا في المتعة ثلاثًا ، ثم حرمها ، واللَّه لا أعلم أحدًا تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة ، إلا أن يأتيني بأربعة يشهدون أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أحلها بعد إذ حرمها . اهـ .

وبعد ذكر هذه الأدلة التي تقضي بحرمة نكاح المتعة ، إلا أن هناك أخطارًا اجتماعية تترتب على نكاح المتعة ، وذلك لأن المعقود عليها والمدخول بها في نكاح متعة ليست زوجة بالمعنى الصحيح المفهوم ؛ لأن النكاح المؤبد إنما شرع لمقاصد وأهداف اجتماعية ، من أجل عمارة الكون عن طريق التناسل على طريقة سنها اللَّه تعالى وشرعها ، حيث يوجد الفرد الصالح ، والأسرة الصالحة المترابطة المستقرة ليتكون المجتمع السليم ، ونكاح المتعة يتنافى مع هذه الأهداف النبيلة ؛ لأنه وسيلة لقضاء الشهوة فقط ، ولا يجمع بين الزوجين برباط المصير الواحد ليكونا أسرة صالحة ، كما أنه ضد مصلحة المرأة وكرامتها ؛ لأنه يعتبرها مجرد وعاء تُصب فيه شهوة الرجل، بالإضافة إلى أنه يخلو من المعنى السامي للزواج ، مِن حيث السكن والرحمة ؛ لأن كلاً من الرجل والمرأة يشعران بأن حياتهما مؤقتة ، فلا مودة ولا تعاطف ، كما أنه لا يَلْزِم الرجل بالنفقة وبعدد غير محدد من النساء المستمتع بهن ، ولا يقع فيه طلاق بقيوده وشروطه التي تحمي المرأة وتحمي الحياة الزوجية من الانهيار في النكاح الشرعي ، بل ينتهي أمر النكاح بانتهاء المدة المؤقتة المتفق عليها ، ولا يلزم الرجل بأي التزام ، ولا شك أنه إبقاء للفاقة تحت اسم آخر ، من هنا فإن التحريم لنكاح المتعة كان بسبب حماية المرأة ، وحقها في الحياة الإنسانية الفاضلة ، ولعل هذا كله يوضح بجلاء أن المستمتع بها في نكاح المتعة ليست زوجة بالمعنى الصحيح ، وكان الرسول صلى اللَّه عليه وسلم رخص فيه أول الإسلام للضرورة ، ثم حَرّم ، ثم أبيح ، وأخيرًا حُرِّم التحريم المؤبد والقاطع ، لما سبق أن ذكرناه من النصوص ، وللضرر الاجتماعي الناتج عن فعله .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) البَكْرة : خشبة مستديرة في جوفها محور تدور عليه .

(٢) العَنْطَنَطَة : الطويلة ، والطويلة العنق العيطاء .

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها :

فضيلة الشيخ :

أبي إسحاق الحويني

● ● يسأل القارئ : همام أحمد عامر علي - كفر الدوار- البحيرة - عن صحة هذا الحديث ؟

((لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مِرَّةٍ سوي)) ؟

● الجواب : **أنه حديثٌ صحيحٌ** . وقد ورد من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهم .

وأما حديث أبي هريرة : فأخرجه النسائي (٥/٩٩) ، وابن ماجه (١٨٣٩) ، وأحمد (٢/٣٧٧، ٣٧٩) ، وابن أبي شيبة (٣/٢٠٧، و١٤/٢٧٤) ، وابن حبان (٨٠٦) ، والطحاوي في ((شرح المعاني)) (٢/١٤) ، والدارقطني (٢/١١٨) ، والبيهقي (٧/١٤) ، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٨/٣٠٨) ، وابن الجارود في ((المنتقى)) (٣٦٤) من طرقٍ عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبي هريرة مرفوعًا فذكره .

ورواه عن أبي بكر بن عياش جماعة منهم : الحسن بن عرفة ، وهناد بن السري ، ومحمد بن الصباح ، ويحيى بن إسحاق ، وحسن بن موسى الأشيب ، وأسود بن عامر ، ومعلى بن منصور ، وأبو داود الطيالسي ، وأبو غسان ، وابن أبي شيبة ، وإبراهيم بن مجشر ، وعمار بن خالد التمار ، وإسحاق بن يحيى الطباع .

وخالف هذا الجمع : فرات بن محبوب ، ومعلى بن منصور ، فروياه عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، مرفوعًا مثله .

قال أبو نعيم : لم يروه عن أبي حصين عن سالم وأبي صالح ، إلا أبو بكر . ونوه البيهقيُّ بنحو ذلك .

● قُلْتُ : وفرات بن محبوب ذكره ابنُ حبان في ((الثقات)) (٩/١٣) ، وترجمه ابنُ أبي حاتم في ((الجرح والتعديل)) (٣/٢/٨٠) ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً .

قال الدارقطني في ((العلل)) (١/١٨٤) : (لا بأس به) ، ووهمه في حديثه ، ووثقه الهيثمي في ((المجمع)) (٩/٢٨٨) ، وكأنه اتكأ على توثيق ابن حبان ، ومعلى بن منصور ثقةٌ ، ولكنه رواه على الوجه الأول أيضًا ، وكأن هذا الاضطراب من أبي بكر بن عياش ، فقد تكلم العلماءُ في حفظه ، وإن كان الأشبه هو رواية الجماعة عنه ، وهذا سند لا بأس به ، لولا ما نقله الزيلعي في ((نصب الراية)) (٢/٣٩٩) عن ابن دقيق العيد أنه قال في ((التنقيح)) :

(رواته ثقاتٌ ، إلا أن أحمد بن حنبل قال : سالم بن أبي الجعد لم يسمع من أبي هريرة) . اهـ .

وسالم ذكروه بالتدليس والإرسال ، لكن له طريقٌ آخر ، أخرجه أبو يعلى (ج١١/ رقم ٦١٩٩) قال : حدثنا محمد بن عباد ، وأخرجه البيهقي (٧/١٣، ١٤) ، من طريق سعدان بن نصر قالا : ثنا سفيان - يعني : ابن عيينة - عن منصور ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة - قيل لسفيان : رفعه ؟ قال : لعلَّه -: ((لا تحلُّ الصدقة لغني ، ولا لذي مرةٍ سوى)) .

هكذا على الشك في رفعه ، ولكن أخرجه ابن خزيمة في ((صحيحه)) (ج٤/ رقم ٢٣٨٧) ، قال : حدثنا عبد الجبار بن العلاء ، وأخرجه الحاكم (١/٤٠٧) من طريق علي بن حرب قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة يبلغ به ، ومعنى : (يبلغ به) ؛ يعني رفعه إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، وذكر البيهقيُّ أن الحميدي رواه عن سفيان فجزم برفعه ، وهؤلاء الثلاثة أثبت في سفيان ، ولا سيما الحميدي ، فهو من أوثق أصحابه ، فالسند صحيحٌ ، والحمد للَّه .

وأخرجه القضاعي في ((مسند الشهاب)) (٨٨٥) من طريق محمد بن عبدوس ، ثنا وهب ، أبنا خالد ، عن حصين ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة مرفوعًا مثله ، وهذا سندٌ صحيحٌ ، ومحمد بن عبدوس ترجمه الخطيب في ((تاريخ بغداد)) (٢/٣٨١-٣٨٢) ، وقال : (كان من أهل العلم والمعرفة والفضل) .

ونقل عن ابن المنادى قال : (كان من المعدودين في الحفظ وحسن المعرفة بالحديث ، أكثر الناسُ عنه لثقته وضبطه ، وكان كالأخ لعبد اللَّه بن أحمد بن حنبل) .

ونقل أيضًا عن أحمد بن كامل القاضي قال : (كان حسن الحديث كثيره) .

ووهب هو ابن بقية ، أحدُ الثقات ، وبقيةُ السند مشهورون . فالسند صحيحٌ أيضًا .

وأمّا حديث عبد اللَّه بن عمرو : فأخرجه البخاري في ((التاريخ الكبير)) (٢/١/٣٢٩) ، وأبو داود (١٦٣٤) ، والترمذي (٦٥٢) ، والدارميُّ (١/٣٢٤، ٣٢٥) ، والطيالسي (٢٢٧١) ، وعبد الرزاق (٧١٥٥) ، وابن أبي شيبة (٣/٢٠٧، و١٤/٢٧٤، ٢٧٥) ، كلاهما في ((المصنف)) ، وأبو يعلى في ((مسنده)) (ج١١/ رقم ٦٤٠١) ، والطحاوي في ((شرح المعاني)) (٢/١٤) ، وابن الجارود في ((المنتقى)) (٣٦٣) ، والحاكمُ في ((المستدرك)) (١/٤٠٧) ، والبيهقي (٧/١٣) ، والدارقطني (٢/١١٩) ، والبغويُ في ((شرح السنة)) (٢/٨٢) ، من طريق سعد بن إبراهيم ، عن ريحان بن يزيد العامري ، عن عبد اللَّه بن عمرو مرفوعًا مثله . قال الترمذي : (حديث حسن) . اهـ .

وهو كما قال ، وريحان بن يزيد ، وإن جهله أبو حاتم ، لكن قال سعد بن إبراهيم الراوي عنه : (صدوق) ، ووثقه ابن معين وابن حبان ، وله شواهد أخرى .

● ويسأل القارى : محفوظ إبراهيم فيقول :

هل صحَّ أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم جهر بالقراءة في صلاة الجنازة ، وأنه قرأ سورة مع الفاتحة ؟

● والجواب : لا أعلمه صحيحًا عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، ولكن صحَّ عن ابن عباس ، رضي اللَّه عنهما .

أخرجه النسائي (٤/٧٤، ٧٥) ، قال : أخبرنا الهيثم بن أيوب ، وأبو يعلى في ((مسنده)) (ج٥/ رقم ٢٦٦١) قال : حدثنا محرز بن عون ، وابن الجارود في ((المنتقى)) (٥٣٧) من طريق سليمان بن داود الهاشمي وإبراهيم بن زياد ؛ أربعتهم عن

إبراهيم بن سعد قال : حدثني أبي عن طلحة بن عبد اللّه بن عوف أخي عبد الرحمن بن عوف قال : صليت خلف ابن عباس على جنازة ، فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة ، فجهر حتى سمعنا ، فلما انصرف أخذت بيده فسألته عن ذلك ؟ فقال : سنةٌ وحقٌ .

وقال البيهقي : (ورواه إبراهيم بن حمزة ، عن إبراهيم بن سعد ، وقال في الحديث : فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة) . ثم قال البيهقي : (وذكر السورة فيه غير محفوظ) .

وأخرجه عبد اللّه بن محمد بن سعيد بن أبي مريم في (ما أسند سفيان الثوري) (١/٤٠/٢) ، وابنُ الجارود في « المنتقى » (٥٣٦) ، عن محمد بن يوسف الفريابي قالا : ثنا سفيان الثوري ، عن زيد بن طلحة التيمي قال : سمعت ابن عباس قرأ على جنازة فاتحة الكتاب وسورة وجهر بالقراءة ، وقال : إنما جهرتُ لأعلمكم أنها سنةٌ والإمام كفاها ، وسنده صحيحٌ . وزيد بن طلحة وثقه ابن معين . وقال أبو حاتم : (لا بأس به) ، كما في « الجرح والتعديل » (١/٢/٥٦٥، ٥٦٦) ، وأخرجه الشافعي في « الأم » (١/٢٧٠) ، ومن طريقه البيهقي (٤/٣٩) ، قال : أنبأنا ابن عيينة ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد بن أبي سعيد قالا : سمعت ابنَ عباس يجهر بفاتحة الكتاب في الجنازة ويقول : إنما فعلتُ لتعلموا أنها سنةٌ ، وسنده جيدٌ .

● ويسأل القارئ : مطاوع محمود علي - بكالوريس العلوم - جامعة الأزهر - عن حديث : *« الجار أحق بدار الجار أو الأرض » هل هو صحيحٌ ؟*

● والجواب : **أنه حديثٌ حسنٌ ثابتٌ .**

أخرجه أبو داود (٣٥١٧) ، والنسائي في (الشروط) من « السنن الكبرى » - كما في « أطراف المزي » (٤/٦٩) - والترمذي (١٣٦٨) ، وأحمد (٥/٨، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨) ، والطيالسي (٩٠٤) ، وابنُ أبي حاتم في « العلل » (١/٤٨٠) ، والدارقطني في « الجزء الثالث والعشرين من حديث أبي طاهر الذهلي » (رقم ٥١) ، والبيهقي (٦/١٠٦) ، من طرقٍ عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا .

قال الترمذي : (حديث سمرة حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، وروى عيسى بن يونس ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنسٍ ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ، والصحيحُ عند أهل العلم حديث الحسن ، عن سمرة ، ولا نعرف حديث قتادة ، عن أنسٍ إلاَّ من حديث عيسى بن يونس) . اهـ .

● قُلْتُ : أمَّا حديثُ قتادة ، عن أنسٍ ، فأخرجه ابنُ أبي حاتم في « العلل » (١/٤٨٠) ، وابن حبان (١١٥٣) ، والطحاويُ في « شرح المعاني » (٤/١٢٢) ، من طريق عيسى بن يونس ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنسٍ به .

وقد رواه عيسى بن يونس عن سمرة أيضًا .

فأخرجه النسائي - كما في « الأطراف » - عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عيسى بن يونس ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة .

وكذلك رواه قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، ثنا نعيم بن حماد ، ثنا عيسى بن يونس ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، وبه عن قتادة عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا فذكره .

ولكن تكلَّم العلماءُ في حديث قتادة عن أنس ، ووهموا عيسى بن يونس فيه .

قال الدارقطني : (وهم فيه عيسى بن يونس ، وغيره يرويه عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، هكذا رواه شعبةُ وغيره ، وهو الصوابُ) . اهـ .

وقال ابنُ أبي حاتم في « علل الحديث » (١/٤٧٧) : (سألتُ أبي وأبا زرعة عن حديث عيسى بن يونس ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي

[٢٨] التوحيد السنة السادسة والعشرون العدد الرابع

صلى الله عليه وسلم قال : ((جار الدار أحق بالدار)) . قالا : هذا خطأ . روى هذا الحديث همام ، وحماد بن سلمة ، فقال حمادٌ : عن قتادة ، عن الشريد ، وقال همام : عن قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن الشريد ، وقالا : نظنُّ أن عيسى وهم فيه ، فشبه ((الشريد)) بـ ((أنس)) . وقال أبو زرعة : الصحيحُ عندنا : قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن الشريد ، ووهم فيه عيسى) . انتهى .

ونحا ابنُ القطان نحوًا آخر ، فقال يردُّ على الدارقطني - كما في ((نصب الراية)) (٤/١٧٣) -: (وقد مالا بهذا القول على عيسى بن يونس ، فإنه ثقةٌ ، ولا يبعد أن يكون جمع بين الروايتين ، أعني : عن أنسٍ ، وعن سمرة ، ثم ذكر رواية قاسم بن أصبغ السالفة الذكر ، وقال : وعيسى بن يونس ثقةٌ ، فوجب تصحيح ذلك منه) . اهـ.

● قُلْتُ : ولكن أنكر الإمام أحمد هذا الجمع .

ففي ((مسائل أبي داود)) (ص٣٠٠) : (سمعت أحمد قال : عند عيسى حديث أنس ، يعني عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفعة ؟ قال أحمد : ليس بشيء ، قلت لأحمد : كلاهما عنده ، أعني عند عيسى بن يونس ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفعة ؟ فلم يعبأ إلى جمعه الحديثين ، وأنكر حديث أنس) . اهـ .

● قُلْتُ : ومع ما مر ذكره ، فقد اختلف في إسناده .

فأخرجه ابنُ أبي حاتم (١/٤٧٩- ٤٨٠) ، عن عيسى ، عن شعبة ، عن يونس ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا ، قال أبو زرعة : (ورواه يزيد بن زريع وعباد بن العوام وجماعةٌ عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه ((سمرة)) ، وصوَّب أبو زرعة رواية قتادة عن الحسن ، عن سمرة) . انتهى .

وخلاصة البحث ؛ أن الحديث عن سمرة ثابت ، وهو غيرُ محفوظٍ عن أنس . والله أعلم .

● ويسأل القارئ : جمال عطوة - الزاوية الحمراء - القاهرة - عن درجة هذا الحديث :

أن امرأة حجت مع صبي لها . فسألت النبي صلى الله عليه وسلم : ألهذا حجٌّ ؟ قال : ((نعم ، ولك أجر)) ؟

● والجواب : أن **هذا حديث صحيحٌ** .

أخرجه مالك في ((الموطأ)) (١/٢٤٤/٤٢٢) ، ومسلم (١٣٣٦) ، وأبو داود (١٧٣٦) ، والنسائي (٥/١٢٠، ١٢١) ، والشافعي في ((مسنده)) (١/٢٨٢، ٢٨٣) ، وأحمد (١/٢١٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٨٨، ٣٤٤) ، والحميدي في ((مسنده)) (٥٠٤) ، وابن خزيمة (ج٤/ رقم ٣٠٤٩) ، وابن حبان (١٤٤، ٣٧٩٧، ٣٧٩٨) ، والطحاوي في ((شرح المعاني)) (٢/٢٥٦) ، وابنُ الجارود في ((المنتقى)) (٤١١) ، وابنُ نجيد في ((أحاديثه)) (ق٥/١) ، وأبو محمد الجوهري في ((أحاديث أبي الفضل الزهري)) (ق١١٦/٢) ، وأبو عمرو السمرقندي في ((الفوائد المنتقاة)) (رقم ١٦- بتحقيقي) ، والطبراني في ((الكبير)) (ج١١/ رقم ١٢١٧٦، ١٢١٧٧، ١٢١٨٢، ١٢١٨٣) ، والبيهقي (٥/١٥٥) ، وأبو عثمان البحري في ((الفوائد)) (ق٢/٢) ، والبغوي في ((شرح السنة)) (٧/٢٢، ٢٣) ، من طرق عن كريب ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي ركبًا بالروحاء - وهو مكان على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة - فقال : ((من القومُ ؟)) قالوا : المسلمون ، فقالوا : من أنت ؟ قال : ((رسول الله)) ، فرفعت إليه امرأة صبيًا ، فقالت : ألهذا حجٌّ ؟ قال : ((نعم ، ولك أجرٌ)) . وهذا سياق مسلم ، وهو عند بعضهم مختصرٌ ، والله أعلم .

والحمد لله رب العالمين .

الفتاوى

لا خير في البحث عما أخفاه القرآن!!

● ● يسأل : ح . م . خ - الدلنجات - بحيرة :

عن الرجل الصالح من قوم مدين الذي تزوج موسى ابنته ، هل هو شعيب ، عليه السلام ؟

● **والجواب** : أنه لم يصح في ذلك خبر يثبت أنه شعيب النبي ، عليه السلام ، ومعلوم أن قوم شعيب كان هلاكهم بعد قوم لوط بمدة قليلة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وما قوم لوطٍ منكم ببعيدٍ ﴾ [هود : ٨٩] ، وأن هلاك قوم لوط كان في زمان إبراهيم الخليل ، وبين إبراهيم وموسى قرون طويلة .

يقول ابن كثير : وما قيل : إن شعيبًا عاش مدة طويلة إنما هو - والله أعلم - احتراز من هذا الإشكال ، ثم إن من المقوي لكونه ليس شعيبًا النبي أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا .

هذا ، وما جاء عن ابن عباس أن اسمه (يثرى) ، وعن ابن مسعود (يثرون) ، وهو ما جاء في كتب أهل الكتاب .

يقول ابن جرير : وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر ، ولا خبر بذلك تجب حجته ، فلا قول في ذلك أولى بالصواب .

وخلاصة القول : أنه شيخ كبير صالح من قوم مدين ، وعلينا أن نعلم أن ما أخفاه القرآن فلا خير في البحث عنه ، فهو علم لا ينفع ، والجهل به لا يضر ، والله أعلم .

المرهون لا تعطل منافعه ، بل ينبغي أن ينتفع به وينفق عليه

● ● ويسأل : شعبان حمد - بني سويف :

عن رجل أخذ من آخر مبلغًا من المال ، ورهن قطعة أرض عنده ، وهي تدر عائدًا وربحًا ، فهل يجوز للمقرض أن يأخذ نتاج الأرض المرتهنة عنده ؟

● **والجواب** : أن هذا لا يجوز ، وهو من أبواب الربا .

قال القرطبي في تفسير الآية : ولو شرط المرتهن الانتفاع بالرهن فلذلك حالتان : إن كان من قرض لم يجز ، وإن كان من بيع أو إجارة جاز ؛ لأنه يصير بائعًا للسلعة بالثمن المذكور ومنافع الرهن مدة معلومة ، فكأنه بيع وإجارة ، وأما في القرض فلأنه يصير قرضًا جر منفعة ؛ ولأن موضوع القرض أن يكون قُربة ، فإذا دخله نفع صار زيادة في الجنس ، وذلك ربًا .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهونًا ، ولبن الدر يشرب بنفقته إذا كان مرهونًا ، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة)) .

قال البسام : ويدل الحديث على أن المرهون لا تعطل منافعه ، بل ينبغي أن ينتفع به وينفق عليه ، وهذا لا ينافي أن كل قرض جر نفعًا فهو ربًا ، ذلك أنه بإجماع العلماء فإن مؤنة الرهن على مالكه ، كما أن نماءه وكسبه له ، إلا هذين النفعين فإنهما مستثنيان لدلالة هذا الحديث ؛ ولأنه مشروط - أيضًا - تحري العدل ، وذلك بأن يكون انتفاع الراكب والحالب بقدر النفقة ، وبهذا فإنه بعيد عن القرض الذي يجر نفعًا ، ومع هذا لم يأخذ بهذا الحديث إلا الإمام أحمد ، أما الأئمة الثلاثة فلم يأخذوا به ، وأجابوا عنه بأجوبة ، والمعنى أن الظهر يركب وينفق عليه ، فلا يمنع الرهن الراهن من الانتفاع بالمرهون ، ولا يسقط عنه الإنفاق .

وخلاصة القول : أن الإجماع على عدم جواز الانتفاع بالرهن إلا من قبل صاحبه ، أما صاحب الدين فلا ينتفع بذلك ، واستثنى أحمد بن حنبل من ذلك المركوب والمحلوب الذي ينفق عليه ، فينتفع من حلبه وظهره بقدر نفقته ، أما الأرض المنزرعة فنتاجها لصاحبها لا للمرتهن عنده ، والله أعلم .

يجوز إجراء العمليات لاستجلاء حقيقة الجنس في الخنثى

● ● ويسأل : محمد متولي محمد :

عن جراحة التجميل ؟

● وننقل له الجواب من ندوة : ((الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية)) ، المنعقدة بالكويت في ٢٠ شعبان ١٤٠٧ هـ ، جاء فيها :

عرضت الندوة لموضوع (جراحة التجميل) ، وانتهت إلى ما يلي :

١- الجراحات التي يكون الهدف منها علاج المرض الخلقي والحادث بعد الولاة لإعادة شكل أو وظيفة العضو السوية المعهودة له جائز شرعًا ، ويرى الأكثرون أنه يعتبر في حكم هذا العلاج إصلاح عيب أو دمامة تسبب للشخص أذى عضويًا أو نفسيًا .

٢- لا تجوز الجراحات التي تخرج بالجسم أو العضو عن خلقته السوية ، أو يقصد بها التنكر فرارًا من العدالة ، أو التدليس ، أو لمجرد اتباع الهوى .

٣- ما ظهر في بعض المجتمعات من جراحات تسمى عمليات تغيير الجنس استجابة للأهواء المنحرفة حرام قطعًا ، ويجوز إجراء عمليات لاستجلاء حقيقة الجنس في الخنثى .

راجع كتاب ((الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية)) من (ص٤٦٣- ٥٣٦، ثم ص٧٥٦، ٧٥٧) .

الوسوسة من الشيطان وكيده ولكن صريح الإيمان هو الذي يمنعهم من قبول ما يلقيه الشيطان

● ● ويسأل الأخ السائل :

أنه قد يرد بخاطره أشياء عن الله عز وجل ، وقد يمل من ذلك ؟

● **والجواب** : فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يأتي الشيطان أحدكم ، فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)) .

وما أخرجاه من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لن يبرح الناس يتساءلون ، حتى يقولوا : هذا الله خلق كل شيء ، فمن خلق الله)) .

وفي رواية لمسلم : ((فمن وجد من ذلك شيئًا ، فليقل : آمنت بالله ورسله)) .

وعند أبي داود فقولوا : ((الله أحد ، الله الصمد)) ، السورة ، ((ثم ليتفل عن يساره ، ثم ليستعذ)) .

وعند أحمد عن عائشة ، رضي الله عنها : ((فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل : آمنت بالله ورسوله ، فإن ذلك يذهب عنه)) .

وهذا السؤال ينشأ عن جهل مفرط إن خرج من الآدمي ، فإن كان من الشيطان فهو سبيله لإغواء الإنسان ، فطريق الإنسان أن يعتصم بالله ، فيستعيذ به ، ولا يجيبه ، وفي ذلك ذم كثرة السؤال .

وفي حديث ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني أحدث نفسي بالأمر لأن أكون حممة أحب إليّ من أن أتكلم به ، قال : ((الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة)) . وفي حديث أبي داود عن أبي هريرة قال : جاء أناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا نجد في أنفسنا الشيء يعظم أن نتكلم به ما نحب أن لنا الدنيا ، وأنّا تكلمنا به ، فقال : ((أو قد وجدتموه ؟ ذاك صريح الإيمان)) .

وليس المراد أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان ، بل إن هذه الوسوسة من الشيطان وكيده ، لكن صريح الإيمان هو الذي يجعلهم يتعاظمون ذلك ، ويمنعهم من قبول ما يلقيه الشيطان في نفوسهم .

وانظر كيف أن العلاج من ذلك ألا تجيبه ولا ترد عليه ؛ لأنك إن رددت عليه استهواك وأوقعك ، فإما أن يضيع وقتك الذي هو رصيدك لعمل الصالحات ، وإما أن يجعلك في شكوك وشبهات لا تتخلص منها .

ومما ذكره ابن حجر قال الخطابي : وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه وكف عن مطاولته في ذلك اندفع ، قال : وهذا بخلاف ما لو تعرض أحد من البشر لذلك ، فإنه يمكن قطعه بالحجة والبرهان ، قال : والفرق بينهما أن الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب ، والحال معه محصورة ، فإذا راعى الطريقة وأصاب الحجة انقطع ، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء ، بل كلما ألزم حجة زاغ إلى غيرها ، إلى أن يفضي بالمرء إلى الحيرة ، نعوذ بالله من ذلك .

(وقال) : على أن قوله : ((من خلق ربك)) كلام متهافت ينقض آخره أوله ؛ لأن الخالق يستحيل أن يكون مخلوقًا ، ثم لو كان السؤال متجهًا لاستلزم التسلسل وهو محال ، وقد أثبت العقل أن المحدثات مفتقرة إلى محدث ، فلو كان هو مفتقرًا إلى محدث لكان من المحدثات .

وقال الطيبي : إنما أمر بالاستعاذة والاشتغال بأمر آخر ، ولم يأمر بالتأمل والاحتجاج ؛ لأن العلم باستغناء الله جل وعلا عن الموجد أمر ضروري لا يقبل المناظرة ؛ ولأن الاسترسال في الفكر لا يزيد المرء إلا حيرة ، ومن كان هذا حاله فلا علاج له إلا الملجأ إلى الله تعالى والاعتصام به والاستعاذة دحر للشيطان . والله أعلم .

أيوب ، عليه السلام ، نبي كريم

● ● وتسأل : أم عبد الرحمن محمد إسماعيل - بقرية بير عمارة - بلبيس - شرقية :

عن قول اللّه عز وجل في سورة ((ص)) : ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴾ [ص : ٤١] ، فهل يمس الشيطان الأنبياء ؟ وكيف يَخْلُصُ إليهم وهم أنبياء محاطون برعاية اللّه وحفظه ؟

● **والجواب** : قال القرطبي عند الآية (٤١) من سورة ((ص)) : قولهم : إن اللّه قال - أي : للشيطان - قد سلطتك على ماله وولده ، فذلك ممكن في القدرة ، ولكنه بعيد في هذه القصة ، وكذلك قولهم : إنه - أي : الشيطان - نفخ في جسده حين سلطه عليه ، فهو أبعد ، والباري سبحانه قادر على أن يخلق ذلك كله من غير أن يكون للشيطان فيه كسب ، حتى تقر له - لعنة اللّه عليه - عين بالتمكن من الأنبياء في أموالهم وأهليهم وأنفسهم .

(ثم قال) : قال القاضي : والذي جرأهم على ذلك وتذرعوا به إلى ذكر هذا قوله تعالى : ﴿ إذ نادى ربه أني مسَّني الشيطان بنصبٍ وعذابٍ ﴾ ، فلما رأوه قد شكا مس الشيطان أضافوا إليه من رأيهم ما سبق من التفسير في هذه الأقوال ، وليس الأمر كما زعموا ، والأفعال كلها - خيرها وشرها في إيمانها وكفرها طاعتها وعصيانها - خالقها هو اللّه لا شريك له في خلقه ، ولا في خلق شيء غيرها ، ولكن الشر لا ينسب إليه ذكرًا ، وإن كان موجودًا منه خلقًا ، أدبًا أدبنا به وتحميدًا علمناه ، وكان من ذكر محمد صلى اللّه عليه وسلم لربه به قوله من جملته : ((والخير في يديك ، والشر ليس إليك)) ، على هذا المعنى ، ومنه قول إبراهيم : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ [الشعراء : ٨٠] ، وقال الفتى للكليم : ﴿ وما أنسانيه إلاَّ الشيطان ﴾ [الكهف : ٦٣] .

قال ابن العربي : ولم يصح عن أيوب ، عليه السلام ، في أمره إلا ما أخبرنا اللّه عنه في كتابه في آيتين ؛ الأولى : قوله تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، والثانية في ((ص)) : ﴿ أني مسَّني الشيطان بنصبٍ وعذابٍ ﴾ ، وأما النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فلم يصح أنه ذكره بحرف واحد ، إلا قوله : ((بينا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجلٌ من جراد من ذهب)) . الحديث .

لذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه ، فمن الذي يوصل إلى السامع أيوب ، عليه السلام ، خبره ؟ أم على أي لسان سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ، فأعرض عنها بصرك ، وأصمم عن سمعها أذنيك ، فإنها لا تعطي فكرك إلا خبالاً ، ولا تزيد فؤادك إلا خيالاً .

وفي الصحيحين - واللفظ للبخاري -: أن ابن عباس قال : يا معشر المسلمين ، تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار باللّه ، تقرءونه غضًّا لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب اللّه وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب ، فقالوا : ﴿ هذا من عند اللّه ليشتروا به ثمنًا قليلاً ﴾ [البقرة : ٧٩] ، ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟! فلا واللّه ما رأينا رجلاً منهم يسأل عن الذي أنزل عليكم ، وقد أنكر النبي صلى اللّه عليه وسلم في حديث ((الموطأ)) على عمر قراءته التوراة .

يقول الشنقيطي في تفسير سورة ((الأنبياء)) :

فإن قلت : لِمَ نسبه إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه على أنبياء ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره ، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحًا إلا وقد نكبه وأهلكه ، وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب .

قلت : لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببًا فيما مسه اللّه به من النصب والعذاب

نسبه إليه وقد راعى الأدب في ذلك ، حيث لم ينسبه إلى اللّه في دعائه ، مع أنه فاعله ، ولا يقدر عليه إلا هو .

وقيل : أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ، ويغريه على الكراهة والجزع ، فالتجأ إلى اللّه تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء ، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل .

(ثم قال) : وغاية ما دل عليه القرآن : أن اللّه ابتلى نبيه أيوب ، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وأنه ناداه ، فاستجاب له وكشف عنه كل ضر ، ووهبه أهله ومثلهم معهم ، وأن أيوب نسب ذلك في ((ص)) إلى الشيطان ، ويمكن أن يكون سلطه اللّه على جسده وماله وأهله ابتلاء ليظهر صبره الجميل ، وتكون له العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة ، ويرجع له كل ما أصيب فيه ، والعلم عند اللّه .

وهذا لا ينافي أن الشيطان لا سلطان له على مثل أيوب ؛ لأن التسليط على الأهل والمال والجسد من جنس الأسباب التي تنشأ عنها الأعراض البشرية كالمرض ، وذلك يقع للأنبياء ، فإنهم يصيبهم المرض ، وموت الأهل ، وهلاك المال لأسباب متنوعة .

وقد حصل لأيوب من المكروه ألم في الجسد ، وزوال الخيرات ، فقال : ﴿ مسّنى الشيطان بنصبٍ وعذابٍ ﴾ ، والنصب : التعب .

قال في ((الظلال)) : وقصة ابتلاء أيوب وصبره ذائعة مشهورة ، وهي تضرب مثلاً للابتلاء والصبر ، ولكنها مشوبة بإسرائيليات تطغى عليها ، والحد المأمون في هذه القصة هو أن أيوب ، عليه السلام - كان كما جاء في القرآن الكريم - عبدًا صالحًا أوابًا ، وقد ابتلاه اللّه فصبر صبرًا جميلاً ، ويبدو أن ابتلاءه كان بذهاب المال والأهل والصحة جميعًا ، لكنه ظل على صلته بربه وثقته به ، ورضاه بما قسم له .

وكان الشيطان يوسوس لخلصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له - ومنهم زوجته - بأن اللّه لو كان يحب أيوب ما ابتلاه ، وكانوا يحدثونه بهذا فيؤذيه في نفسه أشد مما يؤذيه الضر والبلاء ، فلما حدثته امرأته ببعض هذه الوسوسة حلف لئن شفاه اللّه ليضربنها عددًا عينه ، قيل : مائة .

وعندئذ توجه إلى ربه بالشكوى مما يلقى من إيذاء الشيطان ومداخله إلى نفوس خلصائه ، ووقع هذا الإيذاء في نفسه : ﴿ أنى مسّنى الشيطان بنصبٍ وعذابٍ ﴾ ، فلما عرف ربه منه صدقه وصبره ونفوره من محاولات الشيطان وتأذيه بها ، أدركه برحمته وأنهى ابتلاءه ورد عليه عافيته ، إذ أمره أن يضرب الأرض بقدمه فتنفجر عينٌ باردة يغتسل منها ويشرب فيشفى ويبرأ : ﴿ اركُض برجلك هذا مغتسل باردٌ وشرابٌ ﴾ [ص : ٤٢] . (انتهى) .

والشيطان قدرته وطاقته مع البشر موضحة في قوله تعالى : ﴿ وما كان لى عليكم من سلطانٍ إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لى ﴾ [إبراهيم : ٢٢] ، فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر إلا على إلقاء الوساوس والخواطر الفاسدة .

الدعاء والمسألة من العبودية ، وهي ليست من باب الشكوى !!

قال الفخر الرازي : الحق أن المراد من قوله : ﴿ أنى مسّنى الشيطان بنصبٍ وعذابٍ ﴾ ، أنه بسبب إلقاء الوساوس الفاسدة والخواطر الباطنة ، كان يلقيه في نوع من العذاب والعناء .

وخلاصة القول : أن أيوب ، عليه السلام ، نبي كريم ، امتدحه اللّه بالصبر : ﴿ إنا وجدناه صابرًا نِعمَ العبد إنه أوابٌ ﴾ [ص : ٤٤] ، ومن العبودية الدعاء والمسألة ، وهي ليست من باب الشكوى : ﴿ أنى مسّنى الضر ﴾ ، ﴿ مسنى الشيطان بنصب وعذاب ﴾ إنما هو دعاء ، وأما مس الشيطان له فهو وقع الوسوسة على نفسه ، إما من أثر الوسوسة له ، أو من أثر الوسوسة لخلصائه ، خاصة امرأته ، وأن تصريحهم بما وقع في نفوسهم من وسوسة الشيطان هو الذي أحدث في أيوب النصب والعذاب الذي اشتكاه ، واللّه أعلم .

مذكرة دفاع

بقلم الشيخ / مصطفى درويش

وكيل وزارة العدل سابقًا

كتاب لمؤلف أجنبي يُدرِّس بالجامعة الأمريكية بالقاهرة منذ عشرات السنين، فيه افتراءات على نبي الإسلام، أخيرًا أوقف وزير التعليم العالي تدريسه، واعتذر مدير الجامعة بأنه لم يكن يعلم ما فيه !!

وملخص الكتاب : أن نبي الإسلام كان مصابًا بعقدة اليتم والفقر، ولهذا تزوج خديجة !! وأن النزوة الجنسية دفعته إلى الزواج المتعدد !! وأنه كان ينقل في القرآن من أسفار أهل الكتاب !!

ولكن هل تكفي مصادرة الكتاب، أو إيقاف تدريسه !؟ الأهم من ذلك الرد على ما به من افتراءات ؛ أما عن عقدة اليتم والفقر فقد كان في كفالة جده وعمه، وكلاهما يحمل عطف الأب وحنانه، وقد استؤجرت له مرضعة وحاضنة، والسيدة خديجة، رضي الله تعالى عنها، هي التي عرضت نفسها عليه ؛ لأمانته وأخلاقه، وماتت وهي في سنّ الخامسة والستين، وهو صلى الله عليه وسلم في سن الخمسين، ولم يجمع بينها وبين زوجة أخرى .

أما التعدد بعد ذلك فقد كان لأسباب تشريعية ؛ لأن الزوجات جهاز إعلامي متخصص في الأمور الزوجية، وما يدور في بيت النبوة، وقد أمرهن الله تعالى بذلك : ﴿ واذكرن ما يُتلى في بيوتكنَّ من آيات الله والحكمة ﴾ [الأحزاب : ٣٤]، وإذا كان تعدد الزوجات في نظر التأليف العفن عيب وعمل حيواني، فهل نسي جناب المؤلف أسفاره المقدسة، وقد ذكرت أن إبراهيم، عليه السلام، كانت له زوجتان سارة وهاجر، وأن يعقوب، عليه السلام، كانت له زوجتان : ليئة وراحيل، وهما أختان، جمع بينهما، واثنان ملك يمين : زلفة وبلهة، وذكر في سفر التكوين وفي سفر ((القضاه)) (٨/٣٠، ٣١) : كان لجدعون – وقد اعتبروه من أنبياء العهد القديم – كان له سبعون ولد خارجون من صلبه ؛ لأنه كانت له نساء كثيرات، وداود كانت له ثلاثة عشر امرأة غير الحاضنة .

وفي سفر ((الملوك الأول)) (١/١١- ٤) : سليمان كانت له سبعمائة من النساء وثلاثمائة من السراري .

وجاء في سفر ((التثنية)) أصحاح (٢١/١٠- ١٧) تشريع لما يفعله الرجل عند تعدد الزوجات هؤلاء هم أنبياء العهد القديم .

والعجيب أنه ذكر أن الرب بارك نسل هذا الزواج المتعدد وجعله كنجوم السماء ، فهل يبارك الرب العمل الحيواني !!؟؟

يبدو أن المؤلف يجهل حتى أسفاره المقدسة !!

أما أن نبي الإسلام نقل القرآن عن أسفار الإسرائيليين ، فالواضح أن هذا المؤلف الجاهل لم يقرأ القرآن ولم يقرأ أسفار الإسرائيليين ؛ لأن الماء العذب الصافي لا يشق له طريقًا إلى البرك والمستنقعات والعفن .

لقد طعن القرآن الكريم في عقائد الإسرائيليين ، ووصفها بالكفر والإلحاد والافتراء على اللّه في الصفات الإلهية ، ووصف القرآن أسفار أهل الكتاب بالتحريف والتزوير ، وأنها مصنفات بشرية كتبت بأيديهم ، فهل ينقل القرآن عنها بعد ذلك ؟

هل يمكن لكتاب يصف اللّه تعالى بأنه أحد ، ولم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ، أنه ينقل عن أسفار تصف اللّه تعالى بأنه له أولاد ، وأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، واستراح في اليوم السابع ، وأنه حزن وتأسف في قلبه أنه خلق آدم ، وأنه تصارع مع يعقوب حتى الفجر ، وكاد يعقوب أن يقلبه ، وأنه حل ضيفًا على إبراهيم مع ملائكة ، وأكل من العجل المشوي والزبد ، وشرب اللبن ، وأنه لتواضعه يمكن أن يتأنس ويتجسد ويتحول إلى مثلث !؟

وهل يمكن لكتاب يصف إبراهيم بالوفاء والصدق ، أن ينقل عن كتاب يصف إبراهيم بأنه باع امرأته لفرعون مصر ، مقابل بقر وغنم وحمير ، وقال : هي أختي ليتمكن من بيعها !؟

وهل يمكن لكتاب يصف يعقوب بالإيمان والتقوى ، أن ينقل عن كتاب يصف يعقوب بالغش والكذب لسرقة النبوة !!؟؟

وهل يمكن لكتاب يصف سليمان بالإخلاص والوفاء ، أن ينقل عن أسفار تصف سليمان بأن النسوة أملن قلبه ، وراء آلهة أخرى وبنى لها معابد !!؟؟

وهل يمكن لكتاب يصف داود بأنه نعم العبد ، أن ينقل عن أسفار تصف داود بأنه نظر إلى امرأة عارية ، وزنى بها وهي امرأة قائده ، وأمره بشرب الخمر وجماع امرأته لتزوير النسب ، ولما لم يحدث دبر حيلةً للغدر به وقتله ، ثم ضم امرأته إلى نسائه !!؟؟

وهل يمكن لكتاب يصف هارون بالنبوة والإيمان ، أن ينقل عن أسفار تقول عن هارون : إنه صنع عجلاً من ذهب ، وأمر بني إسرائيل بعبادته ، والكتاب الحق - وهو القرآن - صحح هذه التهمة الباطلة ، وذكر أنها من فعل السامري ، وهارون النبي بريء منها !!؟؟

وهل يمكن لكتاب يصف عرش اللّه بأنه كريم وعظيم ومجيد ، أن ينقل عن أسفار تقول : إن حول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيونًا من قدام ومن وراء ، ووسط العرش خروف قائم ، كأنه مذبوح ، وأن الخروف له المجد والبركة والكرامة والسلطان إلى أبد الآبدين .. إلى آخر ما جاء في سفر ((رؤيا يوحنا)) !!

وهل يمكن لكتاب يصيح في وجه الإنسانية : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] ، ويقول من نزل عليه الكتاب : إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم ، هل يمكن أن ينقل عن أسفار تقول عن المسيح : إنه رفض مساعدة امرأة ؛ لأنها كنعانية ، وأنه جاء لخراف بني إسرائيل الضالة ، والمرأة تستعطفه ، فيقول لها : خبز البنين لا يلقى للكلاب ، وترد عليه المرأة : يا سيد الكلاب ، أيضًا تأكل مما يتساقط من موائد أربابها !!

ويصرح بولس في رسائله : نحن أبناء الحرة ، ولسنا أبناء

الجارية ، ويأتي الكتاب الحق - وهو القرآن - فيذكر العبد الرقيق في مقام الإنعام ، وهو زيد بن حارثة ، رضي اللّه تعالى عنه ، فيقول : ﴿ وإذ تقول للذى أنعم اللّه عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله .. ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، ويذكر في مقام اللعنة عم رسول اللّه القرشي : ﴿ تبت يَدَا أبى لهبٍ وتَبَّ ﴾ [المسد : ١] ، فهل الكتاب الذي ضرب العنصرية البغيضة في الصميم ينقل عن كتاب يمجد العنصرية ويفرق بين أولاد الحرة وأولاد الجارية !!؟؟

وهل يمكن للقرآن الكريم الذي سجل دعاء أم مريم : ﴿ وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ [آل عمران : ٣٦] ، واستجاب اللّه لهذا الدعاء ، فأصبح المسيح محصنًا من الشيطان ، حتى في طفولته ، هل يمكن لهذا الكتاب الحق أن ينقل عن أسفار تقول : إن الشيطان أخذ المسيح على قمة جبل ، وأمره أن يسجد له ، وأخذه على جناح الهيكل ، وأمره أن يلقي بنفسه !!؟؟

أيها الناس - يا علماء ، يا جهلاء ، يا سفهاء ، وحتى يا مجانين - هل يمكن لكتابين يتناقض أحدهما مع الآخر تمامًا أن ينقل أحدهما عن الآخر !!؟؟ نقول لجناب المؤلف الجاهل جهلاً مركبًا : اقرأ القرآن جيدًا ، واقرأ أسفارك جيدًا ، ستجد نفسك في النهاية تظن أن روائح الحديقة العطرية أخذت من عفن المستنقعات !!

العبادة الإليكترونية !!

تقول صحيفة ((النبأ الوطني)) عدد (٢٢/٣/١٩٩٨م) (ص٥) : إن وزير الأوقاف أصدر قرارًا بإنشاء إذاعة خاصة لبث الأذان في جميع المساجد لتخليص الناس من التلوث السمعي !!

طبعًا هذا غير معقول ؛ لأنه - والحمد للّه - وزير عاقل ، ويقترح المحرر استخدام تلك الإذاعة في خطب الجمعة والصلوات ، وتزويد المساجد براديو صغير ليكون إمامًا في الصلوات ، وذلك كما يقول : توفير اقتصادي ، بدلاً من المؤذنين ومقيمي الشعائر والخطباء !!

وفي الواقع أمثال هذه الاقتراحات لا تصدر إلا من خيال مريض ، أو مجالس تعاطي الممنوعات ، والفرق كبير جدًّا بين الاجتهاد والاقتراح ، وبين التخريف والانشطاح !! فماذا عن قول رسولنا : ((المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة)) !! هل سيطول إريل الإذاعة ، أو الراديو الإمام ، فكيف يعرف المأمومون أنهم لم يسبقوه في الركوع والسجود والقيام !؟ وإذا توقفت الإذاعة أو انقطعت الكهرباء ، هل سيقولون للراديو : سبحان اللّه ، سبحان اللّه !! وماذا لو أذيع الأذان الإلكتروني في المساجد وانقطع الإرسال عند قول : (أشهد أن لا إله ...) وسكت الإرسال !!

أما عن التلوث السمعي ، فالمفروض في الأذان أنه يخاطب النيام ، فيقول : (الصلاة خير من النوم) .

بصراحة هذه الاقتراحات تصدر عن الذين سمعوا عن الإسلام ، وليس لديهم فكرة كاملة عنه .

إله أسود

وقف المبشر - المُكَفِّر - في إحدى قرى جنوب إفريقيا اللادينية ، وأخرج من جيبه تمثالاً أسود ، وقال بعد مقدمات : إن يسوع كان زنجيًا أسود !! وهنا تساءل الناس : هل كان أبوه أسود أم أمه سوداء !؟ ووجد المبشر - المُكَفِّر - أنه لا بد من الكذب ، فقال : أمه سوداء !! فقال الناس : إذن ضحى به أبوه لسواده ، وترك أبوه البيض للتحكم فينا ، وإذا كان أبوه تركه للمحاكمة والقتل ، فقد تركنا لإذلال البيض ، ولم يجد المبشر - المُكَفِّر - أي إجابة ، فأدخل التمثال في جيبه ومد يده في الجيب الأخرى لإخراج الدولارات !!

وهكذا عقائد للبيع بالمعلبات والدولارات ، ولكن هل يمكن لبورصة العقائد أن تسيطر على فطرة اللّه التي فطر الناس عليها !!؟؟

باب السيرة

يوسف عليه السلام في السجن

بقلم الشيخ / عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، الذي أعدَّ لكل شيء عدَّته، وصرف الأمر بحكمته، وصلاة وسلامًا على النبي الخاتم المبعوث برحمة الله للعالمين. وبعد:

أخي القارئ الكريم؛ وقفنا بك في لقائنا السابق عند إعلان امرأة العزيز أمام جمع النسوة أنها هي التي راودت يوسف، عليه السلام، عن نفسه، وأنه هو الذي استعصم، ولم تقف عند هذا الحد، بل أعلنت في تحد واضح أنه إذا لم يفعل يوسف، عليه السلام، ما تأمره به من الفاحشة فسيكون مصيره إلى السجن، أما يوسف، عليه السلام، فقد لجأ إلى الله وتضرع إليه أن يعصمه مما أحاط به من فتن، ولو إلى السجن، فاستجاب الله له وعصمه من كيد امرأة العزيز، ومن كيد النسوة اللاتي اجتمعن عندها، ومن كيد ذلك المجتمع بأسره. ولما يئست امرأة العزيز من يوسف، عليه السلام، ولم تتمكن من إغوائه، نفذت وعيدها، وأودعته في السجن، وسواء كان ذلك بأمر مباشر منها، أو بحيلة احتالت بها على زوجها واتهمت يوسف، عليه السلام، بأنه هو الذي أشاع أمرها في المدينة، سواء كان هذا أم ذاك فالنتيجة واحدة؛ وهي أن البريء الذي لم يذنب ولم يرتكب إثمًا أودع السجن ظلمًا وبهتانًا، وهنا جاء ميقات حديثنا عن وقفتنا اليوم، والتي ستكون بعون الله من عدّة وقفات على النحو التالي:

❋ **الأولى**: مع قوله تعالى: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ [يوسف: ٣٥]:

﴿بدا لهم﴾؛ أي ظهر لهم - بعد تردد - سجن يوسف، عليه السلام، إلى مدة غير معلومة، بالرغم من ظهور الآيات المتعددة والعلامات الظاهرة على براءته، ابتداءً من الشاهد الذي رأى القميص وقد قُدَّ من الخلف، ومرورًا بالنسوة اللاتي قطعن أيديهن، ووصلاً

المشهد الأول

إلى اعتراف المرأة الصريح بمراودتها يوسف، عليه السلام، وأنه قد استعصم.

برغم كل الأدلة والبراهين الواضحة على براءة يوسف، عليه السلام، فقد قرَّر القومُ إيداعه السجن، لماذا؟ لأنهم أرادوا ستر القالة، وكتم ما شاع بين الناس، والتلبيس على العامة، وإظهار امرأة العزيز في صورة البريئة الوديعة الآمنة، ولو على حساب البريء الذي لم يذنب، وهذه أمور كثيرًا ما تحدث في المجتمعات التي تحكمها أهواء البشر، فتضطرب فيها موازين العدالة، وتتحكم النسوة في توجيه سياسة البلاد والعباد.

✽ **الثانية**: مع قوله تعالى: ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ [يوسف: ٣٦]:

لما ذكر الله سبحانه في الآية السابقة السجن، ودخول يوسف، عليه السلام، إليه وهو سبب ظاهر في الإهانة، شرع الحق تبارك وتعالى في بيان ما حاصله أن الله جعل السجن ليوسف، عليه السلام، سببًا للكرامة، فخرج منه عزيزًا كريمًا، وكانت محنةُ السجن آخر المحن بالنسبة ليوسف، عليه السلام، وسببًا مباشرًا للتمكين، وما ذلك إلاّ لأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وهذا أحد مشاهد الغلبة والقَهْر في هذه القصة، فصار السجن سورًا باطنه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، وقدَّم الله ذكر الفتيين، حيث خروج يوسف، عليه السلام، من السجن كان بسبب رؤيا أحدهما، وكان ساقي الملك، وعن طريق تعبير هذه الرؤيا أخرج الله يوسف، عليه السلام، من السجن، وجعله صاحب سلطان. وكلمة مسموعة في حكم مصر.

وهكذا يجعل الله من أشياء قد يراها الناس بسيطة سببًا لأشياء عظيمة؛ لأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

✽ **الثالثة**: مع قوله تعالى: ﴿ قال أحدهما إنِّى أرانى أعصرُ خمرًا وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزًا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴾ [يوسف: ٣٦]:

وهنا أخذ الفتيان يقص كلاهما رؤياه على يوسف، عليه السلام، وقد دفعهما إلى ذلك ما لاحظاه على يوسف، عليه السلام، من أمارات الإحسان، مَظْهرًا ومَخْبرًا، مما جعلهما يحسنان الظن به، ويلتمسان عنده العلم بتعبير الرؤيا، كما أنه يبدو أنهما كانا من أصحاب الفطر السليمة، حيث فطنا إلى سلوك يوسف، عليه السلام، وإحسانه.

✽ **الرابعة**: مع قوله تعالى: ﴿ قال لا يأتيكما طعامٌ تُرزَقانِهِ إلاَّ نبأتكُما بتأويله قبل أن

يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴿٣٧﴾ واتبعت مِلة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نُشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [**يوسف** : ٣٧، ٣٨] :

نحن الآن أمام موقف من مواقف الدعوة إلى اللَّه يقوم بها يوسف ، عليه السلام ، في السجن ، ولم يثنه السجن عن قيامه به ، وهكذا سلوك أنبياء اللَّه وأوليائه ، فغايتهم الأولى الدعوة إلى اللَّه ، وتسمو هذه الغاية على كل غاية ، وترتفع فوق ما يصيبهم من محن ، بل بسببها يلاقون أشد المحن ، فلا يبالون بها ، وتظهر هنا براعة يوسف ، عليه السلام ، في الدعوة وحسن توظيفه لإمكاناته ، وحكمته في اختيار الأسلوب المناسب ، ومراعاة مقتضى الحال .

فهو لم يُجب السائلين لطلبهما مباشرة ، بل اهتم أولاً بتصحيح اعتقادهم ، فصلاح الاعتقاد أصل سعادةِ المرءِ وصلاح المجتمع في الدنيا ، والعاقبة الحسنةِ في الآخرة .

ولم يدخل يوسف ، عليه السلام ، إلى هدفه مباشرة ، بل استخدم المراحل الآتية :

١- عرفهما بنفسه من خلال سعة علمه وقدرته على التأويل ؛ كي يكون ذلك أدعى لحسن إصغائهما واهتمامهما بما يقوله ، ومن ثَم قبول الحق الذي يدعو إليه .

٢- بيّن لهم مصدر هذا العلم ، وأنه ليس من عنده ، بل هو مما علمه ربه ، حتى يَلْفِتَ أنظارهما إلى ربّه الذي مَنّ عليه بهذا العلم .

٣- أوضح لهما سبب استحقاقه لهذا العلم ، وهو أنه قد ترك عقيدة القوم الذين لا يؤمنون باللَّه ، واتبع مِلّة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وهذه مِلّة الحق الأجدر بالاتباع من جميع الناس .

٤- بيَّن لهما بلطف فساد اعتقادهما ، فلم يصرّح لهما بذلك ، بل عرض وبيَّن فساد اعتقاد القوم ، وفي ذلك لطافة حِسّ وحُسْن مدخل وحكمة في الدعوة .

٥- وأخيرًا أخبرهما أن نجاته من الشرك واتباعه التوحيد ونجاة آبائه إنما ذلك من فضل اللَّه عليه وعلى آبائه وعلى الناس أجمعين ، فالهداية إلى الحق من أفضل نعم اللَّه يمنّ بها على الشاكرين من عباده ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون .

❋ **الخامسة : مع قوله تعالى :** ﴿ يٰصٰحبى السجن أأرباب متفرقون خيرٌ أم اللَّه الواحد القهَّارُ ﴾ [**يوسف** : ٣٩] :

بعد التمهيد السابق طرح يوسف ، عليه السلام ، على صاحبيه هذا التساؤل الذي يثيرُ العقل ويلفت النظر ، وينبّه الفطرة السليمة ، وضعهما أمام مقارنةٍ لا يمكن لعاقل أن يحيد عن الحق فيها .

وفي قوله : ﴿ يٰصٰحبى السجن ﴾ **تلطف في الدخول إلى الغَرض ، والصحبة هنا إشارة إلى صحبة الاختصاص التي جمعت بينهم في المكان ، وربما أيضًا اشتراكهم في الظلم الواقع عليهم جميعًا ، وجاء استخدام لفظ :** « أرباب » **في مقابلة لفظ الجلالة** « اللَّه » **من أبدع ما يكون ، حيث لفظ** « رب » **مشترك يُطلق على اللَّه رب**

العالمين ، وكذلك يطلق على رب القوم ورب البيت ورب المهنة ، والسيد المطاع في قومه وغير ذلك ، فناسب الفُرقة والاختلاف ، وأما لفظ الجلالة ((الله)) فهو علم على الذات الإلهية ، لم يُطلَق إلا على الله الواحد الأحد ، فناسب الوصف بالوحدانية والقهر ، فالأرباب التي يتخذها الناس آلهة من دون الله موصوفة بالتفرق والاختلاف والعجز أمام الله سبحانه ، فهو موصوف بكل صفات الجمال والجلال ، ومنها الوحدانية والقهر ، وأراد يوسف ، عليه السلام ، بهذه المقارنة أن ينفذ منها إلى الإعلان الآتي :

● **السادسة : مع قوله تعالى :** ﴿ ما تعبدون من دونه إلاّ أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [**يوسف** : ٤٠] .

هنا وصل يوسف ، عليه السلام ، إلى التصريح بفساد اعتقاد صاحبيه هما وقومهما من أهل مصر ؛ حيث اتخذوا من دون الله آلهة مزيفة هم الذين صنعوها بأنفسهم ووضعوا أسماءها من عند أنفسهم أيضًا ، فهي ليست من الحق في شيء ، وكيف يليق بالإنسان العاقل أن يعبد من دون الله آلهة صنعها هو بنفسه ، فهي آلهة عاجزة ، لا تنفع ، ولا تضر ، ولا تبصر ، ولا تسمع ، فهذا غاية البطلان والفساد ، وفي مقابل ذلك الباطل الذي عليه القوم وعليه كل مشرك أعلن يوسف عليه السلام ، في وضوح حقيقة الدين الحق : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

﴿ إن الحكم إلا لله .. ﴾ أسلوب قصر وحصر يفيد اختصاص الله بالحكم ، وهذا الاختصاص بالحكم من أهم خصائص العبودية ونابع منها ، ولذلك قال : ﴿ أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ ، فاختصاص الله بالحكم نابع من اختصاصه بالعبادة ، فالدين ما شرع ، والأمر ما حكم سبحانه ونحن عبيده ليس لنا إلا إخلاص العبادة له سبحانه ، ومنها الاحتكام إليه في كل شأن من شئون حياتنا ، وألا نتقدم بين يدي الله ورسوله في أمر ما ، ولا نقبل من أحد أن يفعل ذلك ، ﴿ ذلك ﴾ : أي اختصاص الله بالحكم تحقيقًا لاختصاصه بالعبادة وحده لا شريك له هو : ﴿ الدين القيم ﴾ ؛ أي القويم المستقيم الواضح الذي يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .

وذلك هو دين الحق الذي أرسل الله به جميع رسله ، وأنزل به جميع كتبه ، حتى ختم رسله بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وختم كتبه بالقرآن الكريم مهيمنًا على ما سبقه من كتب ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، فعبودية الله سر الخلق والأمر ، وهذا هو الدين القيم ارتضاه الله لعباده منذ خلقهم ، وإلى يوم يبعثون ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فاحتكموا إلى أهوائهم ، واتبعوا الشيطان ، وحكّموا في شرع الله الرجال ، والأوضاع والرسوم والأفكار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإلى لقاء يجمعنا في وقفة أخرى ، نسأل الله أن ينفعنا بسيرة أنبيائه ، وأن يجعلنا جميعًا من عباده الصالحين ، وأوليائه المتقين . آمين ، آمين . والحمد لله رب العالمين .

الحقيقة المحمدية
عند السلف الصالح

بقلم أ / محمود المراكبي

الحمد لله الملك الحق ، الذي يحق الحق بكلماته ، وأمرنا بقوله : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ [الإسراء : ٨١] ، نستعين به سبحانه ، ونصلي ونسلم على من تنزل الهدي الحق على قلبه ليكون للعالمين نذيرًا ، فجاء بالصدق وصدق به ، من تمسك به فقد هدي إلى الصراط المستقيم ، وبعد :

فنشرع بتوفيق الله تعالى في بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في العقيدة ووسطية الإسلام ، فنتحدث أولاً عن طبيعة النبي صلى الله عليه وسلم وبشريته ، وأستسمح القارئ عذرًا إذ أستعمل التعبير الصوفي : (الحقيقة المحمدية) - إن جاز لنا أن نستخدمه ، ثم نشرح فهم السلف عنه - فالصحابة رضوان الله عليهم لم ينشغلوا طرفة عين بحقيقة محمد صلى الله عليه وسلم بمفهومها الفلسفي الباطني ، وقد كفتهم الآيات القرآنية المحكمة مئونة البحث الفلسفي ، فالله تبارك وتعالى يوحي لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه بحقيقته البشرية ، فيقول له : ﴿ قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إليَّ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

فالحقيقة المحمدية إذن ذات شقين ؛ فهو بشر مثل كل البشر ، والشق الثاني : هو مجال الاختصاص والتميز في قوله تعالى : ﴿ يُوحى إليَّ ﴾ ، ولا ينبغي أن نغفل عن هذه الحقيقة الواحدة ذات الشقين ، فالتقصير والتفريط يظهران لمن ينظر فقط إلى قوله : ﴿ بشرٌ مثلكم ﴾ ، وبدافع التمسك بالبشرية فقط أغفل بعضهم ما يلزم من أدب النظر إلى شق الاختصاص بالوحي ، بينما الغلو والإطراء يظهران لمن ينظر إلى شق : ﴿ يُوحى إليَّ ﴾ ، وبدافع الحب يضيف الباطنيون مفاهيمهم المنحرفة ، ومن يستعرض القرآن الكريم يجد مجموعة من الآيات تلقي الضوء على كل جانب وتعطيه حقه .

● ثانيا مهمة الرسول البلاغ

يخصص القرآن مهمة الرسول البلاغ عن ربه ، يقول سبحانه : ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ [المائدة : ٩٩] ، ويقول جل من قائل : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [النور : ٥٤] ، لذلك كان الجانب الثاني : ﴿ يُوحى إليَّ ﴾ ، برغم أن الآية القرآنية ذكرت : ﴿ بشرٌ مثلكم ﴾ أولاً ، ثم : ﴿ يُوحى إليَّ ﴾ ، إلا أننا سنبدأ ببيان حقائق قوله تعالى :

﴿ يوحى إليّ ﴾ ، لسبب واحد ؛ لأنه هدفنا من البحث ، وهو الذي إذا أوضحناه نفينا الغلو عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ، كما أننا حين نحدد مهمة النبي صلى اللّه عليه وسلم وحدودها ستظهر وسطية الفهم عن خاتم الأنبياء وسيد المرسلين صلى اللّه عليه وسلم ، فنقول وباللّه تعالى التوفيق : يحدد القرآن الكريم مهمة الرسول في إبلاغ رسالة ربه إلى قومه ، دون أي تدخل أو تصرف من عنده ، والبلاغ عن اللّه عز وجل ، أشرف تكليف لخلق من خلق اللّه تعالى ، لذا حث اللّه سبحانه كافة الناس على طاعة رسله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين ، ولذلك أنبأ كل نبي قومه بقوله : ﴿ إني لكم رسول أمين (١٠٧) فاتقوا اللّه وأطيعون ﴾ [الشعراء : ١٠٧، ١٠٨] ، فحقيقة طاعتهم طاعة للّه الذي أرسلهم ، قال تعالى : ﴿ من يُطع الرسول فقد أطاع اللّه ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] ، وقد قرر القرآن الكريم حقائق غاية في الأهمية ، فليس للرسول أن يتحمل نتائج إقبال قومه أو إدبارهم ، فليس هذا من شأنه ، هو مبلغ فقط : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ [الإسراء : ١٣] ، كما تنفي الآية مسئولية النبي صلى اللّه عليه وسلم عن حفظ قومه أو حفظ إيمانهم ، أو مراعاة قلوب أتباعه وخواطرهم حسب المفهوم الصوفي ، فذلك هو الغلو الذي يأباه الإسلام ، وقد فصلت الآيات الكريمات هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ قل أطيعوا اللّه والرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمل وعليكم ما حُملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [النور : ٥٤] ، فطاعة الرسول هي السبيل إلى الهداية إلى ما يرضي اللّه عز وجل ، فيستحيل في العقل أن يعرف العبد ربه ومراد إلهه من نفسه ، بل لا بد للإله أن يُعرف الناس كيف يسلكون إليه ويهتدون إلى صراطه المستقيم .

كما جاء التحذير من مخالفة أمر اللّه ورسوله ، قال سبحانه : ﴿ وأطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ [المائدة : ٩٢] ، ويتكرر الإنباء بمهمة الرسول في قوله : ﴿ وأطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ [التغابن : ١٢] ، ثم ينفي القرآن الكريم أي صفة من صفات الألوهية عن رسله ، ويؤكد على بشريتهم وإنهم ليسوا بجبارين ، وليس لهم سيطرة على أتباعهم ، وفي نفس الوقت ليسوا بوكلاء على المؤمنين ، فيقول سبحانه : ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ [الغاشية : ٢٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ ولو شاء اللّه ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظًا وما أنت عليهم بوكيل ﴾ [الأنعام : ١٠٧] ، وكذا قوله تعالى : ﴿ نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ [ق : ٤٥] ، حتى إذا أذن النبي صلى اللّه عليه وسلم لبعض المنافقين ، جاء عتاب اللّه رقيقًا لطيفًا ، قال تعالى : ﴿ عفا اللّه عنك لم أذِنتَ لهم ﴾ [التوبة : ٤٣] ، ولما اجتهد في إبلاغ سادة قريش وتأخر لحظة عن ابن أم مكتوم جاء الوحي معاتبًا ، قال جل شأنه: ﴿ عبس وتولى ۝ أن جاءه الأعمى ۝ وما يدريك لعله يزكى ﴾ [عبس : ١ - ٣] . وقال تعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء اللّه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، وكذا قوله جل وعلا : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن اللّه ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملكٌ إن أتبع إلا ما يُوحى إليّ ﴾ [الأنعام : ٥٠] ، وتؤكد الآيات بشرية النبي صلى اللّه عليه وسلم بقوله عز من قائل : ﴿ إنك ميتٌ وإنهم ميتون ﴾ [الزمر : ٣٠] .

إن هذه الآيات تقيم الحجة على أصحاب الغلو ، كما يحذر اللّه تبارك وتعالى أصحاب التفريط بالآيات الدالة على خصوصية الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، وتميزه بالوحي الذي يستلزم آدابًا خاصة تفوق التعاملات العادية بين البشر ، مثل قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، ﴿ وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] ، ويعرفنا اللّه عز وجل كيفية الأدب مع حبيبه ومصطفاه محمد بن عبد اللّه فيقول سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ۝ إن الذين يغضُّون أصواتهم عند رسول اللّه أولئك الذين امتحن اللّه قلوبهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ (٣) إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا

يعقلون﴾ [الحجرات : ٢ - ٤] ، قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ [النجم : ٣] ، وينبغي أن نفهم قوله سبحانه : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن اللّه رمى ﴾ [الأنفال : ١٧] بنفس أسلوب الخليل إبراهيم ، عليه السلام ، حين أمره ربه أن يؤذن للحج ، قال ما معناه : ومن يسمعني ؟ قال الحق تبارك وتعالى : عليك الأذان ، وعلينا البلاغ ، ولم يقل أحد : إن الخليل ، عليه السلام ، قد تحول حين الأذان إلى صورة إلهية ، وإنما هي معجزة وخصوصية يختص اللّه بها من يشاء من عباده ، وهذا نفس ما وقع للنبي محمد صلى اللّه عليه وسلم ، فهو رمى الحصى ، والقادر على إيصال كل حصاة إلى رجل من الكفار يلقى حتفه في المعركة هو اللّه وحده لا شريك له .

ويقرر الحق سبحانه أن من يبايع المبلّغ عن اللّه هو في الحقيقة مؤمن صادق مبايع للّه تعالى : ﴿ إن الذين يُبايعونك إنما يُبايعون اللّه ﴾ [الفتح : ١٠] ، ولا تقصد هذه الآيات من قريب أو بعيد ؛ أن محمدًا حين بايع وحين رمى لم يكن محمدًا في الباطن كما ظهر للناس ، بل كان في الحقيقة اللّه ، كما يزعم الصوفية أصحاب وحدة الوجود .

فالحقيقة الإيمانية الصحيحة أن يؤمن المسلم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بشر يجري عليه ما يجري على البشر ، من الخليقة ، والتكوين في الرحم ، ثم الولادة ، والطفولة ، والصبا ، والشباب ، والرجولة ، إلى الوفاة ، والغسل ، والكفن ، والدفن .

ولكن هذه الطبيعة البشرية تميزت في رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بمطالب الوحي ، والاستعداد لتلقيه ، فالنبي يمثّل أشرف النوع البشري ، فهو صلوات ربي وسلامه عليه من أطيب الأسلاب ، انتقل من أطهر الأصلاب إلى أنقى الأرحام ، لذلك أخبر عن نفسه صلى اللّه عليه وسلم : ((أنا سيد ولد آدم ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مُشفع)) . وقال صلوات ربي وسلامه عليه : ((إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)) . ثم إنه صلى اللّه عليه وسلم تلقى عن ربه أكمل الرسالات وختام النبوات ، فهو الرحمة العامة للعالمين ، والرأفة الكاملة بالمؤمنين ، وهو صاحب الحوض المورود والشفاعة الكاملة ، وصاحب الوسيلة والدرجة العالية الرفيعة ، وكمال الفهم هو النظر بالعينين إلى اجتماع الصفتين معًا في قوله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إليَّ أنما إلـٰهُكُم إلـٰهٌ واحدٌ ﴾ [الكهف : ١١٠] ، أما الغلو أو التقصير فهو نظير بعين واحدة إلى شق واحد فقط .

● ثالثا الرد على فكرة قدم نور النبي صلى الله عليه وسلم

إن الشيعة ومن وراءها فرق الباطنية المختلفة ، ثم الصوفية بطرقها المتعددة قالوا مقولة النصارى في إطراء النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فهم افتقروا إلى الدليل على صحة زعمهم ، فلم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يؤيد رأيهم ، بل على العكس هناك أدلة ثابتة لا تحتمل أي تأويل تنفي أوهامهم وتنسفها من أساسها ؛ نسوق منها ما يلي :

١ - أول خلق الله :

وردت أحاديث كثيرة تحدد مخلوقاتٍ لها سبق في الخلق ، ولكن من هو أول الخلق ؟ هل هو حقيقة محمد صلى اللّه عليه وسلم كما يزعم الصوفية ؟ والإجابة يرويها عبادة بن الصامت ، رضي اللّه عنه ، حيث يقول : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : ((أول ما خلق اللّه تبارك وتعالى القلم ، ثم قال : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)) .

كما وردت أحاديث صحيحة تنص على أول خلق اللّه عز وجل ، منها ما رواه البخاري وغيره ؛ عن عمران بن حصين ، رضي اللّه عنه ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إجابة على سؤال وفد بني تميم عن أول هذا الأمر كيف كان ، قال : ((كان اللّه ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء)) . وفي رواية أخرى : ((كان اللّه ولم يكن قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السماوات والأرض)) . فالعرش والماء خُلقوا قبل خلق السماوات والأرض ، وفي رواية أحمد بن حنبل : ((وكتب في اللوح ذكر كل شيء)) ، كما روى مسلم عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، رضي اللّه عنهما ، قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : ((كتب اللّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء)) . فترتيب الخلق إذن

هو : خلق الماء والعرش ، ثم القلم ، ثم اللوح ، وكل هؤلاء خُلقوا قبل السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وإذا كانت نظرية قِدَم نور النبي صلى اللّه عليه وسلم تفترض خلق كل شيء من نور محمد صلى اللّه عليه وسلم الذي هو من نور اللّه ، فحديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الذي يرويه أبو هريرة يقول فيه : قلت يا رسول اللّه : إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني ، فأنبأني عن كل شيء ، فقال : ((كل شيء خلق من ماء)) .

ولو كان كلام الصوفية ومزاعمهم صحيحة لقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : كل شيء خُلق من نوري ، فكيف يقبل هؤلاء أن يفتروا على اللّه ورسوله الكذب وهم يعلمون ، إذ لا يعقل أن مشايخ الصوفية لم يطلعوا على هذه الأحاديث .

٢- خلق آدم ، عليه السلام :

ليس من المعقول أن تخبرنا آيات القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعًا عن مراحل خلق آدم، عليه السلام ، من تراب ، ثم من طين لازب الذي تحول إلى صلصال كالفخار ، ثم حمأ مسنون ، ثم التسوية والخلقة ، ثم نفخ الروح ، ولا تأتي آية واحدة تشرح حقيقة النور الذي قبضه اللّه من ذاته وسماه محمدًا ، ثم تشعشع هذا النور واخترق جميع حجب عظمة اللّه ، حتى خلق منه كل شيء ، ولو أن الكون خلق من نور النبي صلى اللّه عليه وسلم - كما يزعمون - أما كان الأولى أن يقرر القرآن الكريم ذلك صراحة ، ولو في آية قرآنية واحدة !! أتختفي هذه الحقيقة المزعومة من القرآن !! وتؤكد بدلاً منها مراحل خلقة آدم ، عليه السلام ، من تراب ، أليس القائل بهذا الافتراء يقول على اللّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

لو أن الكون مخلوق من نور النبي صلى اللّه عليه وسلم ويعرف ذلك كل المخلوقات ، فكيف لا يسجد إبليس لمن استودعه اللّه نور النبي صلى اللّه عليه وسلم ، ثم لِمَ اعتذر إبليس عن عدم سجوده لآدم أن طبيعته من نار وطبيعة آدم من تراب ، وقد كان يكفيه أن يقول : أولى بي أن أسجد لنور النبي وليس لطينة آدم !!

وقد فات الصوفية أن هناك نهي واضح في القرآن الكريم عن الخوض في مراحل خلق السماوات والأرض ، وذلك قول اللّه تبارك وتعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١] ، والمعنى المفهوم من نص الآية ؛ أن اللّه تبارك وتعالى لم يُطلع أحدًا على مراحل الخلق ، ولم يطلب من أحد من خلقه أن يشرح للناس هذه المراحل ، فمن يحاول ذلك يقول على اللّه بغير علم ، وبالتالي فهو ضال مضل ، وما كان اللّه ليتخذ المضلين عضدًا ؛ أي عونًا لشرح ذلك الأمر ، لذلك تضاربت أقوالهم مع النصوص الصحيحة ، فهم يقولون : الخلق من نور محمد صلى اللّه عليه وسلم ، ورسولنا صلى اللّه عليه وسلم يقول الخلق من ماء ، فمن أولى بالتصديق إن كنتم صادقين ؟!

٣- لا وجود للحقيقة المحمدية قبل بعثته صلى اللّه عليه وسلم :

عن خالد بن معدان أن نفرًا من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قالوا : يا رسول اللّه ، أخبرنا عن نفسك ، وقد روي نحوه عن أبي ذر وشداد بن أوس ، وأنس بن مالك ، رضي اللّه عنهم أجمعين ، فقال : ((أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشر بي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام)) .

إن إجابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذن تنفي أن بدء أمره قبل خلق العرش - كما يزعمون - وقد وردت مجموعة من الآيات المحكمات تنفي سيطرة الرسول على الناس ، أو معرفته بالقرآن الكريم قبل بعثته ، يقول سبحانه : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] .

إن هذه الآيات المباركات تقطع دابر قول القائلين بقدم النور المحمدي ، كما أن معانيها لا تنقص من قدر رسولنا الكريم صلى اللّه عليه وسلم ، وإنما هي تشتمل على زيادة في شرفه العظيم صلى اللّه عليه وسلم ، واختصاصه بالوحي الذي علمه ما لم يكن يعلم ، كما أثبت ذلك قوله تعالى : ﴿ وأنزل اللّه عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل اللّه عليك عظيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] . وللحديث بقية إن شاء اللّه تعالى .

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

بقلم:

د. سعيد بن مسفر
ابن موسع القحطان

البدعة في اللغة تطلق على الشيء المخترع على غير مثل سابق ، أي الأمر المحدث والجديد ، فيقال لمن أتى بأمر لم يسبقه إليه أحد : ابتدع .

والبدعة في الاصطلاح ، كما يقول ابن رجب الحنبلي : هي ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه .

ويعرفها الشاطبي بتعريف أشمل فيقول بأنها طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد للّه تعالى .

ومن عظيم نعم اللّه على عباده أن اللّه قد أكمل لهم الدين ، وأتم الشريعة ، حتى فارق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الدنيا بعد أن بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وأنزل عليه ربه سبحانه في حجة الوداع : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

ولقد كان اليهود يغبطون هذه الأمة على هذه الآية ، فقد جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه ، وقال : آية في كتابكم تقرءونها ، لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا ، قال : وأي آية هي ؟ قال : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ .

يقول ابن عباس ، رضي اللّه عنه ، في تأويل هذه الآية : (أخبر اللّه نبيه صلى اللّه عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان ، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا ، وقد أتمه اللّه فلا ينقصه أبدًا ، وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا) .

ولذا كانت القرون الثلاثة الأولى هي خير قرون هذه الأمة ، وذلك لتمسكها بكتاب ربها ، وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم ، ومحاربة البدع والإحداث في دين اللّه عز وجل ، وهذا طرف من أقوال السلف ، رحمهم اللّه :

أولًا : أقوال بعض الصحابة :

١- قال الصحابي الجليل عبد اللّه بن مسعود ، رضي اللّه عنه : (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة) .

٢- قال عثمان الأزدي : دخلت على ابن عباس ، فقلت له : أوصني ؟ فقال : نعم ، عليك بتقوى اللّه والاستقامة ، اتبع ولا تبتدع .

٣- قال حذيفة بن اليمان ، رضي اللّه عنه : اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم ، اتبعوا آثارنا ، فقد سبقتم سبقًا بعيدًا ، وإن أخطأتم فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا .

ثانيًا : أقوال بعض التابعين :

١- قال عمر بن عبد العزيز ، رحمه اللّه : سن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها تصديق لكتاب اللّه عز وجل ، واستكمال لطاعته ، وقوة على دين اللّه ، وليس لأحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ، ومن استبصر بها

أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا .

٢- قال الحسن البصري : اعرفوا المهاجرين بفضلهم ، واتبعوا آثارهم ، وإياكم وما أحدث الناس في دينهم ، فإن شر الأمور المحدثات .

ثالثًا : أقوال بعض الأئمة :

١- قال الإمام مالك ، رحمه الله : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ، فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا .

٢- قال الإمام أحمد ، رحمه الله : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء بهم وترك البدع ، وكل بدعة ضلالة .

٣- قال الإمام ابن تيمية ، رحمه الله : وكذلك ما يحدثه بعض الناس ؛ إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى ، عليه السلام ؛ وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا له ، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد ، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا ، مع اختلاف الناس في مولده ، فإن هذا لم يفعله السلف ، مع قيام المقتضى له ، وعدم المانع منه ، ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف ، رضي الله عنهم ، أحق به منا ، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا له منا ، وهم على الخير أحرص ، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته ، واتباع أمره ، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ، ونشر ما بعث به ، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حراصًا على أمثال هذه البدع ، مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة ، تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه ، وإنما هم بمنزلة من يحلى المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه ، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه ، أو يصلي فيه قليلاً .

وقد استدل علماء السلف على ذم البدع ومحاربتها بأدلة كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا طرف منها :

أولاً : من القرآن الكريم :

١- قوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، قال ابن عباس في تفسيره لهذه الآية : فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولو العلم ، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة .

٢- قوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] ، قال ابن كثير ، رحمه الله ، في تفسير هذه الآية : أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان .

ثالثًا : من السنة المطهرة :

١- قوله صلى الله عليه وسلم : ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) ، وفي رواية أخرى : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) .

قال النووي : هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، فإنه صريح في رد البدع والمخترعات .

٢- قوله صلى الله عليه وسلم : ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن كان عبدًا حبشيًا ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة)) .

ووجه الدلالة في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة السابقة ظاهر في أهمية المتابعة وحرمة الابتداع والإحداث في دين الله عز وجل .

شبهات المبتدعة

يورد أهل البدعة بعض الشبهات التي يبررون بها بدعتهم ، مثل قولهم :

١- إن الصحابة فعلوا أشياء لم تكن في عهده صلى اللّه عليه وسلم مثل جمع القرآن ، فهو في نظرهم بدعة حسنة ، وقولهم هذا مردود ؛ لأن البدعة كما أسلفنا في تعريفها : هي إحداث شيء في دين اللّه ليس له أصل ولا مثل سابق ، وجمع القرآن ليس بدعة ؛ لأن اللّه عز وجل قد أخبرنا أن القرآن الكريم كتاب في كثير من الآيات ، مثل قوله تعالى : ﴿ ألم ۝١ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [البقرة : ١، ٢] ، والكتاب اسم للمجموع ، ونهى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو ؛ أي المصحف الذي سيجمع ، وهذا دليل على مشروعية جمع القرآن في كتاب واحد ، ولكن لم يتم جمعه في عهده صلى اللّه عليه وسلم لعدم قيام المقتضي لجمعه ، وهو تنزل القرآن ، فلما انقطع الوحي جرى جمعه عملاً بأمر اللّه في كونه كتابًا محفوظًا .

٢- يستدل أهل البدعة على بدعهم بأن الرسول صلى اللّه عليه وسلم قال : ((من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها)) ، والرد عليهم بالرجوع إلى سبب الحديث الذي يوضح معناه ؛ لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ، وسبب هذا الحديث أن قومًا مجتابي النمار قدموا على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فحث الناس على الصدقة ، فقام رجل ، فقال : عليّ كذا ، فبادر الناس إلى مثل فعله ، فقال صلى اللّه عليه وسلم : ((من سن في الإسلام سنة ..)) أي ترك الناس العمل بها مثل الصدقة المشروعة ، فالذي يبدأ بفعل الأمر المشروع في الدين فيتبعه الناس في هذا يكون قد سن سنة حسنة .

٣- يستدل أهل البدعة بأن المسلمين قد أحدثوا أشياء كثيرة مثل وضع الدواوين والمدارس ، وهي بدع ؛ لأن لها علاقة بالدين ، ويُرد عليهم بأن هناك فرق بين البدعة ، وبين المصالح المرسلة التي تقتضيها مصلحة المسلمين ، وليس لها علاقة بأمور العبادة ؛ أي ليست من التقرب والطاعات التي تفتقر إلى الدليل ؛ لأن الأصل فيها الحظر والمنع ، إلا ما قام عليه الدليل .

لوازم الابتداع بالاحتفال بمولده صلى اللّه عليه وسلم

الابتداع في دين اللّه يفضي إلى لوازم خطيرة ذات أثر سيئ على عقيدة المبتدع ودينه ، منها :

أولاً : أن الابتداع يستلزم تنقص جناب النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وأنه لم يبلغ الرسالة ، ولم يؤد الأمانة ، وأنه لم ينفذ أمر اللّه له بقوله : ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وأذكر أنني كنت في زيارة إحدى الدول الإسلامية للمشاركة في مؤتمر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عام ١٤١٥ هـ ، وفي أحد الأيام وبينما كنا جلوسًا في بهو الفندق لتناول الشاي ، ومعي بعض المشايخ والعلماء من دول متعددة ، أردت أن أشغل المجلس بإيراد بعض الفوائد ، وعندما بدأت أتحدث قاطعني أحد الجالسين وقال لي : من أي البلاد أنت ؟ فقلت له : من السعودية ، فهز رأسه قائلاً : أنتم هناك في السعودية لا تحبون الرسول صلى اللّه عليه وسلم ! عندها تأثرت ، ولكني لزمت جانب الهدوء رغم ضراوة الهجمة وشدة وقع الكلمة على نفسي ، وسألته : ما الدليل ؟ ولماذا لا نحب الرسول صلى اللّه عليه وسلم ؟ فقال : لأنكم لا تحتفلون هناك بمولد النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فقلت له : كلامك هذا يعني أن التعبير عن محبته صلى اللّه عليه وسلم إنما يكون بالاحتفال بمولده ؟ قال : أجل ، فقلت له : واللّه ما منعنا من الاحتفال بمولده إلا محبته صلوات اللّه وسلامه عليه ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت له : هل تقبل النقاش العلمي بعيدًا عن التعصب والهوى ؟ قال : نعم ، قلت له : سوف أسألك بعض الأسئلة وأرجو أن تجيبني عليها ، قال : تفضل ، فقلت له : السؤال الأول : هذا الاحتفال الذي تعبرون به عن محبتكم للرسول صلى اللّه عليه وسلم ، هل هو طاعة تتقربون بها إلى اللّه وترجون عليها ثوابًا منه عز وجل ، أم هو معصية للّه سبحانه ؟ فأجابني قائلاً : هو طاعة للّه عز وجل نتقرب

بها إلى اللّه ، فقلت له : السؤال الثاني : هذه الطاعة هل علَمَها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أم جهلها وأنتم علمتم بها ؟ ومن المعروف بداهة عند كل مسلم أن أعلم الناس بطاعة اللّه هو رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؛ ولذا قال لي جوابًا على سؤالي : بل علِمَها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقلت له : السؤال الثالث : هذه الطاعة التي علمها الرسول صلى اللّه عليه وسلم حسب إجابتك هل بلغها لأمته أم كتمها ؟ عندها وقف حائرًا ، وأخذ يفكر في الإجابة ؛ لأنه لا يقدر على القول بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كتمها ؛ لأن هذا اتهام لجنابه صلى اللّه عليه وسلم ووصفه بالتقصير وعدم تبليغ رسالة ربه ، وأيضًا لا يقدر على أن يقول : إنه بلغها ؛ لأنه يعلم يقينًا أنه لا يوجد في السنة ما يدل على مشروعيتها ، أو أن النبي صلى اللّه عليه وسلم أمر بها ، ولكنه لم يجد بدًّا من الإجابة بقوله : بل بلغها ، فقلت له : كيف بلغها ؟ أعطني دليلاً من السنة ولو كان ضعيفًا أو موضوعًا على أنه بلغها لأمته ، فوقف مبهوتًا ، فقلت له : لا بد من ذلك ، وإذا لم تقدر فمعنى ذلك أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم كتم هذه الطاعة ولم يبلغها لأمته ، هنالك لم يجد بدًّا من التراجع والقول : هذا العمل ليس بطاعة ، فقلت له : أجل هو معصية ، وأنتم تعبرون عن محبتكم للرسول صلى اللّه عليه وسلم بمعصية اللّه ؟ فقال : لا ، ليست معصية ، فقلت له : إذا لم يكن طاعة ولا معصية ، فماذا يكون ؟ فقال : هو بدعة حسنة ، فقلت له : ليس في الإسلام بدعة حسنة ، وإنما البدعة ضلالة ، والحديث الصحيح قد نص على : ((إن كل بدعة ضلالة)) . فقال : نحن لا نقول فيها إلا خيرًا ، فقلت له : وماذا تقولون ؟ قال : نقرأ بعض المدائح النبوية وبعض فقرات السيرة ، وأحيانًا نحظى بالحضرة النبوية ، قلت : وما الحضرة النبوية ؟ قال : حضور النبي صلى اللّه عليه وسلم وتشريفه للحفل ، قلت : حفلكم أنتم فقط أم كل الاحتفالات ، قلت : كيف يمكنه ذلك في ليلة واحدة ؟ فسكت ولم يستطع الإجابة ، ثم قلت له وقد دخل وقت صلاة العصر : لو صلى بنا الإمام صلاة العصر خمس ركعات ، فما حكم الصلاة ؟ فقال : باطلة ، قلت : ولماذا ؟ قال : لأن الإمام زاد في الصلاة ، فقلت : لقد زاد زيادة حسنة ، زاد ركعة خامسة قرأ فيها الفاتحة ، وسبح في ركوعها وسجودها ، فقال لي : لا تصح الزيادة ؛ لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم لم يأمر بها ، فقلت له : وكذلك الاحتفال بالمولد لم يأمر به النبي صلى اللّه عليه وسلم ، عندها مدّ يده إليّ وقال لي : أعاهدك أنني من هذا اليوم سأكون حربًا عليها ، فدعوت له بالتوفيق .

ثانيًا : أن الابتداع يعني عدم كمال الدين ، وهذا معارض لقول اللّه تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، فقد أخبر اللّه سبحانه أن هذا الدين قد كمل ، وأنه ليس بحاجة إلى إضافة أو زيادة .

ثالثًا : أن الابتداع يؤدي إلى ضياع معالم الدين الحق ، وفتح باب الاستحسان والإحداث ، وبالتالي عدم وقوف الناس عند حد معين من الابتداع مما يضيع معه دين اللّه .

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

لا شك أن نبينا محمدًا صلى اللّه عليه وسلم هو أكرم الخلق وأعظمهم منزلة ، وأنه سيد ولد آدم على الإطلاق ، ومحبته صلى اللّه عليه وسلم جزء من عقيدة المؤمن ، وذكراه حية في قلوب المؤمنين في كل لحظة من لحظات حياتهم ، والاحتفال السنوي بمولده لإحياء ذكراه لا يليق بمقامه الرفيع ، إذ ان كل مسلم مأمور بالصلاة والسلام عليه عند ذكره صلى اللّه عليه وسلم ، ومأمور بمتابعة الأذان الذي يتضمن شهادة أن محمدًا رسول اللّه ، ومأمور بالتشهد في كل صلاة ، فلسنا في حاجة إلى أن نتذكره صلى اللّه عليه وسلم مرة واحدة في العام ، بل ذكره في أعماق قلوبنا ، صلوات اللّه وسلامه عليه .

وما دام أن اللّه قد أخبرنا في كتابه العزيز أن محبته سبحانه لا

تكون ثابتة إلا باتباع نبيه صلى اللّه عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وبما أنه صلى اللّه عليه وسلم لم يفعل هذا المولد وهو صاحب الشأن وذو العلامة والمشرع لدين اللّه ولم يأمر به ، ولم يفعله أصحابه من بعده ، ولم يفعله أحد من سلف هذه الأمة في القرون المفضلة ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه .

ولأنه صلى اللّه عليه وسلم قد أخبرنا بأن : ((كل عمل ليس عليه أمره فهو رد)) ، وحيث إن العبادات توقيفية ليس لأحد أن يشرعها ، وأن الأصل فيها المنع والحظر ، إلا ما ثبت في كتاب اللّه أو سنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم .

ولأن دعوى محبته صلى اللّه عليه وسلم بهذه البدعة باطلة ؛ لأن محبته تظهر جلية في متابعته واقتفاء أثره ، والتمسك بشريعته ، والعمل بسنته ، صلوات اللّه وسلامه عليه .

وبما أن في الاحتفال بالمولد تشبه بالنصارى ، ونحن المسلمون مأمورون بعدم مشابهتهم ، وبالنظر إلى ما يقع في تلك الاحتفالات من المخالفات الشرعية والمنكرات العظيمة ، والتي منها الشرك ، وسؤال المدد والاستغاثة والدعاء وسؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات من غير اللّه عز وجل ، إلى جانب الإسراف والتبذير وإضاعة المال .

كل هذه الحيثيات وغيرها تدعو إلى القول بتحريم مثل هذه الاحتفالات وعدم جوازها ، وضرورة تركها ، وعدم حضورها ، أو المساعدة في إقامتها ، بل لا بد من التحذير منها ، وهذا طرف من أقوال العلماء في حكم المولد :

أولاً : فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (٤٧٥٥) ونصها : (الاحتفال بمولد الرسول صلى اللّه عليه وسلم بدعة ؛ لأنه صلى اللّه عليه وسلم لم يفعله لنفسه ، ولا أمر بفعله ، ولم يفعله أحد من الصحابة ، رضي اللّه عنهم ، وهم أحرص الناس على تعظيم الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، واتباع سنته . والخير كله في اتباع هديه ، وقد قال صلى اللّه عليه وسلم : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) . توقيع عضوا الإفتاء / عبد اللّه بن غديان ، الرئيس / عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز) .

ثانيًا : فتوى الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين قال : ردًا على سؤال عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي :

١- ليلة مولد النبي صلى اللّه عليه وسلم ليست معلومة على الوجه القطعي ، فالاحتفال به ليلة الثاني عشر من ربيع الأول لا أصل له من الناحية التاريخية .

٢- من الناحية الشرعية ؛ فالاحتفال لا أصل له أيضًا ؛ لأنه لو كان من شرع اللّه لفعله النبي صلى اللّه عليه وسلم ، أو بلغه لأمته ، ولو فعله أو بلغه لوجب أن يكون محفوظًا ؛ لأن اللّه تعالى يقول : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩] ، فلما لم يكن شيء من ذلك علم أنه ليس من دين اللّه ، وإذا لم يكن من دين اللّه فإنه لا يجوز لنا أن نتعبد به للّه عز وجل ، ونتقرب به إليه .. إلى أن قال - حفظه اللّه -: فالاحتفال بالمولد بدعة ومحرم .

وبعد أخي القارئ ؛ لا يسعك بعد وضوح الأدلة وبيان فتاوى العلماء إلا أن ترضخ للحق ، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال ، وأحذرك يا أخي من التمسك بالباطل ، والتصلب في الرأي بموجب الهوى ، وأدعوك إلى التجرد والنظر بمنظار الشرع ، واللّه أسأل في الختام أن يوفقنا جميعًا للهدى ، وأن يرشدنا إلى الصواب ، وأن يصحح منا المقاصد والأعمال ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه د / سعيد بن مسفر بن
موسع القحطان
من جوار الكعبة المشرفة بمكة
المكرمة

بلاغة التكرار في سورة « الرحمن »

بقلم د / سيد خضر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ، وبعد :

فإن ظاهرة التكرار ظاهرة لغوية عرفتها العربية في كل عصورها ، وهي ظاهرة متشعبة ومتنوعة ، وقد حاولت جمع أشتاتها في بحث علمي شامل مفصّل ، وذلك في رسالتي للدكتوراه عن هذه الظاهرة في اللغة العربية .

وللتكرار أنواع كثيرة ، أهمها تكرار الحروف والكلمات ، والأسماء والأفعال ، والجمل الاسمية والفعلية ، وكذلك الأوزان والقوافي ، والتكرار عنصر أساسي كذلك في الجناس والسجع والاتباع ، وعلى المستوى القرآني سنجد تكرارًا للحروف والكلمات والجمل ، وموضوعات كالقصص القرآني ، وظواهر إيقاعية تعتمد على التكرار كالجناس والفواصل القرآنية ، وكل ذلك وفقَ نظام بلاغي مُعجز .

والتكرار في سورة « الرحمن » في قوله تعالى : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ هو تكرار الجملة الفعلية ، حيث إن الجار والمجرور « بأي » متعلقان بالفعل « تكذبان » المسند إلى ألف الاثنين ، وهو ضمير المخاطبين بهذه السورة : الإنس والجن .

لقد شغل التكرار في سورة « الرحمن » وغيرها من سور القرآن العلماء منذ القدم ، ذلك أنه تكرار ذو إعجاز بلاغي أخّاذ ، استعمل في القرآن ظاهرة التكرار المعروفة عند العرب لكن بأسلوب متفرد جميل ، ولو كان في تكرار هذه الآية خروج عن أساليب العرب ومعهود كلامهم ، لكان الكفار أولَ من عاب ذلك ، وكيف لا ، وهم الذين كانوا يجتهدون في إيجاد مَغمز يغمزون به القرآن وأهله .

وسوف نستعرض بإيجاز بعض أقوال علماء السلف في هذا التكرار ، لنخلص بعد ذلك إلى بيان وجوه الإعجاز في ذلك التكرار الجميل :

قال ابن قتيبة : وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزئ عن بعض ، كتكراره في : ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ [الكافرون : ١] ، وفي سورة « الرحمن » بقوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ، فقد أعلمتك أن القرآن نزل بلسان القوم ، وعلى مذهبهم ، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ، فالغاية عنده من هذا التكرار التوكيد والإفهام .

ويقول المرتضى في « أماليه » : فأما التكرار في سورة « الرحمن » فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة ، فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها ، ووبخ على التكذيب بها .

والمرتضى يرى أن فائدة التكرار تكمن في التقرير بالنعم المتعددة .

وفي ((لسان العرب)) : الإقرارُ : الإذعان للحق والاعتراف به ، أقرَّ بالحق أي اعترف ، وقد قرره عليه ، وقرره بالحق غيرُه حتى أقر .

وقال أبو هلال العسكري : وقد كرر اللّه عز وجل في سورة ((الرحمن)) قوله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ وذلك أنه عدّد فيها نعماءه ، وأذكر عباده آلاءه ، ونبههم على قدرها وعلى قدرته عليها ، ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها .

وقريب من هذا ما ذكره القاضي عبد الجبار ، قال : وإنما كرر تعالى في هذه الآيات الكثيرة : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ؛ لأنه ذكر نعمة بعد نعمة فأتبعه ذلك ، وهذا مما يحسنُ مما يذكَر نعمه وأياديه ، فإن قال : ففي جملة الآيات ما ليس بنعمة كقوله : ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آنٍ ﴾ [الرحمن : ٤٤] إلى غير ذلك ، وجوابنا أن ذلك من النعم إذا تدبره المرء وخاف منه صار زاجرًا له عن المعاصي .

هذه بعض أقوال العلماء حول التكرار في سورة ((الرحمن)) ، وإلى القارئ الكريم بعضُ تفصيل وتحليل ، فأقول وبالله التوفيق :

إن للتكرار ها هنا بلاغة وإعجازًا ، واختيار سورة ((الرحمن)) لهذا التكرار يتناسب أولاً مع اسم السورة الكريمة ، فالرحمن اسم علم على الذات الإلهية ، ولا يتسمى به أحد إلا اللّه ، وقد وجه سبحانه الخطاب في السورة إلى الثقلين : الإنس والجن ، فالرحمن – وهو لفظ مبالغة – طاعته واجبة ، والتكذيب بآلائه مخرج للمكذبين من دائرة رحمته العظيمة التي وسعت كل شيء : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ، ولأجل ما في السورة من عظائم النعم ، جاء فيها التكرار للتنبيه عليها ، وتكرار هذه الآية المباركة على أربعة أقسام :

١- في الآيات من (١٣ إلى ٣٠) كررت الآية ثماني مرات .

٢- في الآيات من (٣١ إلى ٤٥) كررت سبع مرات .

٣- في الآيات من (٤٦ إلى ٦١) كررت ثماني مرات .

٤- في الآيات من (٦٢ إلى ٧٨) كررت ثماني مرات ، فيكون المجموع إحدى وثلاثين مرة توزعت على السورة بنظام عجيب على النحو الآتي :

في القسم الأول : تتكرر الآية عقب تعداد نعم اللّه تعالى وذكر عجائب الخلق وعظائمه ، فكلما كرر نعمة بعدها : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ، والآلاء هي النعم التي أنعم اللّه بها على عباده ، والتعجب من المكذبين بآلاء اللّه تعالى ، والملاحظ أن العدد ((ثمانية)) والنعم التي أنزلها اللّه للإنسان من الأنعام ثمانية أزواج : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] .

القسم الثاني : تكرر الآية سبع مرات عقب آيات يذكر فيها العذاب ، وتبدأ بهذا التهديد المخيف : ﴿ سنفرغ لكم أيه الثقلان ﴾ [الرحمن : ٣١] ، وذكرت الآية مكررة سبع مرات على عدد أبواب النار ، والتخلص من كل باب على حدةٌ نعمة من نعم اللّه تعالى الجليلة .

القسم الثالث : تكرر فيه الآية ثماني مرات ، ويأتي تكرارها عقب آيات تذكر فيها النعم العظيمة المعدة للمؤمنين في درجات الجنات ، ويبدأ بقوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ [الرحمن : ٤٦] ، وبعد كل نعمة يذكر في الجنتين يتبعها بالآية المكررة وعدد الآيات المكررة على عدد أبواب الجنة كذلك .

والقسم الرابع : يبدأ بقوله تعالى : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ [الرحمن : ٦٢] ؛ أي وهناك جنتان أقل نعيمًا من الجنتين السابقتين ، وذلك لمن خاف مقام ربه ، ولكن عمله وحسناته أقل ممن تقدم ذكرهم ، وتكررت الآية كذلك ثماني مرات على عدد أبواب الجنة ، ومن المعلوم أن هذه الجنان هي درجات

في جنة واحدة هي جنة الخلد التي وعد الله المتقين ، وإنما يذكر ذلك للتكثير والترغيب والدعوة إلى التسابق للفوز بعليا الجنان ، وفي حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوسَ فإنه سرُّ الجنة)) ؛ أي أفضل موضع فيها فالجنة درجات ، وينبغي للمؤمنين التسابق للوصول إلى الفردوس .

إن هذا النظام المعجز في توزيع التكرار وملاءمته للسياق لَيدعو العقول إلى التدبر والتفكر ، والوجدان إلى التأثر ، والنفوس إلى الرهبة والرغبة .

الآثار النفسية للتكرار في سورة ((الرحمن)) :

إن للتكرار في هذه السورة آثارًا نفسية عميقة هي الهدف الذي من أجله كان التكرار ، إن التكرار فيها يحدث عند المتلقّي ما أسميه ((التوتر النفسي الخلاق)) ، حيث إن التكرار مع قراءة السورة بصوت عال – وفقَ أصول القراءة – أو الاستماع إليها من قارئ حسن الصوت يُحدث آثارًا نفسية عميقة لدى القارئ أو السامع ، إنه يجعله في تجاوب وحوار مع الله تعالى .. إنه تكرار يبتعث النفس من ركودها وخمولها .

روى الترمذي عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة ((الرحمن)) من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : ((لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودًا منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذبُ ، فلك الحمد)) .

فالرد الذي تجاوبت به الجن مع تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ، أعني قولهم : ((ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد)) . هذا الرد يحمل في طياته عمق الإحساس بأخطار التكذيب بآلاء الله تعالى ، تلك الآلاء التي لا تُحصى ، وإنما ذكر بعضها في سورة ((الرحمن)) تنبيهًا على الجميع بذكر بعضه ، أو على الكل بذكر الجزء ، فما ينبغي لعاقل أن يكذب بشيء منها ، ولهذا يتكرر الاستفهام الإنكاري إحدى وثلاثين مرة ، وكأنها طَرَقات قوية على مداخل النفس الإنسانية التي يعلوها الرَّيْنُ بين فترة وأخرى ، فتحتاج إلى التذكير ، وهو أيضًا تذكير بكثرة المكذبين بنعم الله تعالى من الثقلين : الإنس والجن ، فكثيرٌ ما هم ، كل هذه المعاني يحملها ذلك التكرار التام في السورة الكريمة ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد من أصحابه ذلك الانفعال الإيجابي الذي لمسه من الجن حين قرأ عليهم الآيات . والله أعلم .

ولله الحمد أولاً وآخرًا .

إشهار

بعد الاطلاع على القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ م بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة ، وعلى موافقة مدير الشئون الاجتماعية (إدارة الجمعيات) ، تقرر شهر جمعية أنصار السنة المحمدية بناحية القلين مركز منيا القمح ، تحت رقم (١٠٤٩) ، بتاريخ ١٩٩٨/٣/١٧ م .

مدير إدارة الجمعيات

بين الأمس واليوم يزداد إحساس المسلمين في شتى بقاع المعمورة باليأس والإحباط بين عدو يعلن في بجاحة لا تعرف الحياء، أن اذهبوا إلى الجحيم، ويكيل لنا الكيل، ونحن لا نمل من ترديد كلمات عن ذلك الوهم الذي يعرفونه بالسلام، وأي سلام هذا الذي يفرض علينا المذلة والهوان، ونحن مازلنا نقول: إننا ملتزمون مع الشريك الأمريكي .. الذي لا يكف عن توجيه الطعنات للإسلام وللمسلمين، ولقضايانا التي نضعها أمانة في أعناق من لا يعرفها، والقدس تئن من العدوان عليها، ومحاولات اليهود للإجهاز عليها، والتأكيد على أن القدس هي عاصمة تلك الدولة البغيضة، ولن تكون هناك دولة لفلسطين !! وأمريكا تمنع الدول المساندة للحقوق العربية والإسلامية من التصويت في الأمم المتحدة لتعديل وضع منظمة التحرير الفلسطينية من مراقب إلى عضو كامل العضوية، وتصدر فرمانًا بمنع الشجب والإدانة بكل ما يصدر عن إسرائيل، حتى الشجب والإدانة أصبحا في قائمة المحظورات الشرعية المفروضة من قبل اليهود الأمريكان الذين يعملون في دائرة كلينتون !!

فهذا الوقح جينجرتش - رئيس مجلس النواب الأمريكي - يلقي خطابًا في الكنيست الإسرائيلي يعترف فيه بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل !! وفي نفس الوقت الذي تعلن أن أمريكا شريكة أصيلة في عملية السلام، ولا أعرف أي سلام هذا الذي يقصدونه !!

كل هذا يحدث والكوارث والنكبات والمكائد تحاك للمسلمين، وما من كارثة تقع، أو مصيبة تحل إلا وتجد أصابع اليهود من ورائها .. رجال الصديق كلينتون، وقد رأينا ما حدث أثناء التفجيرات النووية بين الهند وباكستان، ومحاولات اليهود في إسرائيل وأمريكا للإجهاز على كل ما هو إسلامي، والموقف المتدني لأمريكا !! مرورًا بالحرب الشرسة التي تشن على الإسلام والمسلمين، ونشر النصوص المحرفة والمنسوبة للقرآن الكريم على شاشة الإنترنت، وما اكتشف بعد ذلك من ضلوع اليهود في ذلك !!

والحرب الدائرة الآن ومحاولة إشعال الفتنة بين إثيوبيا وإرتيريا، وضلوع الموساد الإسرائيلي في الأحداث الواقعة في القرن الإفريقي !! ونحن مازلنا نئن وننتظر التصريح لنا بعقد قمة عربية، وإسرائيل تعلن توسيع حدود بلدية مدينة القدس من ١٣٢كم^{٢} إلى ٦٥٠ كم^{٢}، وأمريكا تعلن في بجاحة: عليكم بالصمت، حتى الشكوى أصبحت ممنوعة !!

فهل آن الأوان أن نفيق من غفلتنا ومن ثباتنا العميق !!

المخطط اليهودي لضياع القدس !!

فقد صدرت التعليمات من جهات عليا في الكونجرس الأمريكي ومجلس الرئاسة إلى العرب والمسلمين تحذر من أن الانتفاضة ممنوعة .. والشكوى بالصوت العالي المسموع ممنوعة .. واللجوء إلى مجلس الأمن أو الأمم المتحدة غير مسموح به، حتى لو كان الموضوع قضية حياة أو موت بالنسبة للشعب الفلسطيني، خاصة تجاه قضية القدس، وما ينفذه الآن بنيامين نتنياهو من مخططات خبيثة في المدينة المقدسة معناه أن يحسم وبشكل نهائي قضية القدس العربية لحساب إسرائيل، ومعناه ضياع قضية القدس إلى الأبد، ولكن هيهات أن يحدث ذلك: ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [الأنفال: ٣٠].

هذه هي أمريكا، وهؤلاء هم اليهود ..

بقلم / جمال سعد حاتم

ويعلن رئيس مجلس الأمن أن المجلس قرر تنظيم مناقشة بشأن توسيع نطاق حدود بلدية مدينة القدس من ١٣٢ كم^2 إلى ٦٥٠ كم^2 ، والمثير للدهشة أن تعلن وزارة الخارجية الأمريكية معارضتها لأي إجراء من مجلس الأمن يتعلق بمدينة القدس ، وقالت : إن أي تحرك في هذا الشأن سيؤدي إلى نتائج عكسية ، وأعلنت أنها سوف تستخدم حق الفيتو في مجلس الأمن ضد أي إجراء يتخذ في هذا الشأن ، كما أعلنت الخارجية الأمريكية عن معارضتها لأي قرار يصدر من الجمعية العامة للأمم المتحدة ضد إسرائيل بخصوص القدس ، أو قرار يعطي صلاحيات ومزايا لوضع منظمة التحرير الفلسطينية من عضو مراقب إلى عضو كامل العضوية ، معلنة أن منظمة التحرير الفلسطينية ليست دولة ، ويجب ألا تتمتع بمزايا وحقوق على مستوى حقوق الدول الأعضاء ، مضيفة أن صدور قرار بهذا الشأن سوف يسجل سابقة خطيرة وتعتبره واشنطون إجراء منفردًا !!

وقاحة جينجرتش ... والقناع اليهودي !!

فقد فجرت زيارة نيوت جينجرتش رئيس مجلس النواب الأمريكي لإسرائيل وما أدلى به من تصريحات استفزازية ، وما أقدم عليه من تصرفات عدوانية تعبر من قريب ومن بعيد عن كونه المدافع الأول عن مصالح اليهود وأمنهم وسلامتهم ، وتأمين عدوانهم على الغير ، وقد عبر هذا الجينجرتش عن وقاحته عندما ألقى خطابه في الكنيست الإسرائيلي ، وأكد فيه بلا تحفظ وبلا مواربة أن الكونجرس الأمريكي يعترف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل !! معلنًا أنه لا يمكن إحلال السلام بدون الأمن ، وأن إسرائيل فقط هي التي تستطيع تحديد احتياجاتها الأمنية . ولكن هذه هي أمريكا مهما تبدل القناع الذى يلبسه مسؤلوها ، ففي النهاية سنجد أن القناع يخفي وراءه وجهًا يهوديًا ، لا ننتظر منه سوى الوقاحة والبذاءة والخيانة !! ومع ذلك نعلق آمالاً عليهم !!

الانحياز النووي .. وعبث الموساد الإسرائيلي

ما أن سمع العالم بأنباء التفجيرات النووية الهندية ، حتى توقع الجميع أن يصدر رد فعل قوي وعنيف ، وأن يجتمع مجلس الأمن ويصدر قرارًا شديدًا يتضمن إجراءات عاجلة ضد الهند ، ولكنها الأيام تثبت أن كل شيء يمكن أن يقع ويمكن أن تتخذ القرارات العاجلة والسريعة القوية ، كل هذا يحدث إذا كان الضحية هو بلد إسلامي ، أما إذا كانت إسرائيل أو الصرب أو الهند ، وعندها إشارات خضراء من اليهود من الموساد الإسرائيلي ، فلا يكون إلا الصمت أو الكلمات الهزيلة .

وعندما وقعت التفجيرات الباكستانية قامت الدنيا ولم تجلس ، وعندما أحست أمريكا بأن باكستان سوف تقوم بعدة تفجيرات نووية ردًا على تفجيرات الهند ، وردًا على الصمت الدولي ، وبعد أن انتظرت باكستان أسبوعين كاملين بعد التفجيرات الهندية انتظارًا لرد فعل عالمي ، فما كان إلا رد الفعل الهزيل ، ولم يكن أمام باكستان سوى خيار واحد ، وهو الرد على تلك التفجيرات .

وبدأ كلينتون يعلن عن إغراءاته من خلال اتصالات سرية مع نواز شريف رئيس الوزراء الباكستاني لإثنائه عن قرار إجراء التفجيرات قبل ساعات من إجرائها ، وقد تمثلت إغراءات كلينتون في خمسة تعهدات شخصية من جانبه ، فقد عرض تقديم منح مالية لباكستان قدرها خمسة مليارات

دولار ، وإسقاط الديون الأمريكية على باكستان ، وكذلك إلغاء قانون « بريسلر » الذي فرض عقوبات على باكستان بسبب برنامجها النووي منذ عدة سنوات ، ثم تسليم الباكستانيين صفقة طائرات من طراز (إف ١٦) ، التي سبق أن جمدتها الحكومة الأمريكية لتحمل باكستان على وقف هذا البرنامج ، وأخيرًا توجيه دعوة رسمية لرئيس الوزراء الباكستاني لزيارة واشنطون .

وإذا كان هذا هو موقف أمريكا والمجتمع الدولي من التفجيرات الهندية الباكستانية ، فلا أعرف ماذا فعلت مع إسرائيل ، والأنباء تشير إلى ضلوع الموساد الإسرائيلي في التعاون مع الهند ومساعدتها في التفجيرات النووية ، وكذلك ما أعلن عن وجود طائرات إسرائيلية مجهزة في بعض القواعد الهندية لضرب المنشآت النووية الباكستانية .

وقاحة اليهود على الإنترنت !!

كما أشرنا في صدر هذا التحليل وفي مقدمته أن أصابع اليهود تجدها وراء كل مصيبة تقع ملطخة ، وفي الأيام الماضية نشرت مجموعة من النصوص المحرفة والمنسوبة إلى القرآن الكريم ، وقد تم اكتشاف (٢٧) موقعًا على الإنترنت تسيء جميعها إلى الإسلام بصورة مختلفة ، وقد تم اكتشاف أربع سور بعناوين « المسلمين » ، « التجسيد » ، « الوصايا » ، « الإيمان » ، وهي محاولة من واضعي هذه الخزعبلات على الإنترنت للكيد للإسلام والمسلمين ، فيقول فيما يسميه بسورة « المسلمين » ، « الصم » : « قل يا أيها المسلمون إنكم لفي ضلال بعيد » . حيث يصف المسلمين بالصم .

وقد تم اكتشاف أن الشركة التي قامت بهذا العمل - القذر - هي شركة « إيه. أو. إل » ، وهي شركة أمريكية ، أصحابها من اللوبي الصهيوني الأمريكي ، ومع كل ما يحدث من عبث نجد وراءه اليهود والأمريكان ، بل والغرب عمومًا ، فلا يجب أن نتزعج من هذا الأمر !! فالقرآن قد حفظه اللَّه سبحانه وتعالى ، ولا يستطيع كائن من كان أن يغير حرفًا واحدًا من كلام اللَّه سبحانه وتعالى ، وأن الكيد المحموم من هؤلاء يؤكد بوضوح أنهم يدركون حيوية الإسلام وقوته ، وأنه الغالب بإذن اللَّه ، وعلى الرغم مما في هؤلاء الأعداء في الغرب من استعلاء فإنهم يدركون قوة الإسلام وعظمته ، ويدركون أنه قادم ، وهو الذي يزعجهم ويخيفهم ، أما القرآن فإن اللَّه حافظه ، قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩] .

وفي نفس الوقت فإننا نناشد من خلال صفحات مجلة « التوحيد » المؤسسات الإسلامية في العالم بأن تجتمع وتصدر بيانًا تحذر فيه من مثل هذه الأفعال الرخيصة التي يقف وراءها اليهود ، وأن تلفت نظر المسلمين - غير الناطقين باللغة العربية - إلى حقيقة ما يجري ، على أن يبث هذا البيان على شبكة الإنترنت ، وأن يكون على رأس هذه المؤسسات الأزهر الشريف ، وأن يحرك مجمع البحوث الإسلامية راكدًا ، وكفى ما نحن فيه الآن ، وليأخذ الأزهر دوره الطليعي والطبيعي في خطى ثابتة يعيد فيها مجد الأزهر وهيبته ، وأن يفرض احترامه على الجميع كما كان ، ورحم اللَّه السابقين .

رائحة اليهود في القرن الإفريقي !!

ويأتي النزاع بين إريتريا وإثيوبيا ، واندلاع القتال بين الدولتين تأكيدًا لنفس المحور مهما كانت

فمـــاذا أنتـــم فاعلـــون ؟!

الأسباب ، وذلك بضلوع اليهود ، وتورط الموساد الإسرائيلي في إشعال تلك الحرب واللعب على الطرفين ، وإمدادهما بالسلاح معًا ، وقد أذاعت وكالات الأنباء في نبأ أذاعته الإذاعة البريطانية تأكيد نشرة عسكرية بريطانية وثيقة الصلة بالاستخبارات الإسرائيلية ، وأن جهاز الموساد الإسرائيلي يملك قواعد استخبارية مهمة في إريتريا وإثيوبيا ، تركز على التصنت على اليمن والسعودية والسودان .

وصدرت تقارير في الصحافة البريطانية والإسرائيلية ركزت على أربع قواعد مهمة « للموساد » في البلدين تستفيد منها الدولة العبرية في رصد النشاطات في البحر الأحمر ، وتقيم عليها قاعدة لغواصات مؤهلة لحمل صواريخ نووية ، وتراقب الوضع في السودان ، وتقدم التدريب والدعم والمعونات للمعارضة السودانية .

كما أكدت التقارير الصادرة عن « نشرة فورين ريبورت » العسكرية البريطانية أن قواعد الموساد تنطلق من جزيرة دهلك الإريترية على البحر الأحمر ، والقريبة من ميناء مصوع الإريتري الذي تعرض أخيرًا لهجوم إثيوبي في المعارك الدائرة حاليًا بين الحليفين السابقين ، وهي قاعدة متخصصة في التجسس على اليمن والسعودية ، أما القاعدة الثانية فأقيمت في جزيرة حنيش ، التي تتنازع عليها إريتريا مع اليمن ، وهي تسمح بمراقبة مضيق باب المندب ، وبالتالي كل الحركة في البحر الأحمر .

الحل الإسلامي .. والقمة المنتظرة !!

وإذا كنا قد سمعنا عن المحاولات الكثيرة عن عقد قمة عربية والضغوط الأمريكية والإسرائيلية لعرقلة انعقاد تلك القمة ، ولكننا نتساءل : هل تم تنفيذ مقررات القمة العربية السابقة والتي عقدت في القاهرة ؟

إنني ومن هنا أتوجه إلى رئيس القمة الإسلامية وليس العربية ، حتى توضع مشكلة القدس وفلسطين في موقعها المناسب للبحث عن الحل الإسلامي لقضية المسلمين الأولى ، وأتخيل أن تصدر تلك القمة عدة قرارات ؛ منها إعلان المقاطعة للشركات المتعاملة مع إسرائيل ، والإعلان عن استخدام سلاح البترول ، كما حدث أبان حرب أكتوبر في العاشر من رمضان ١٩٧٣ ، وأن تقرر القمة الإسلامية سحب الأرصدة العربية والإسلامية من بنوك الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي أرصدة فلكية ! وأن تعلن منظمة التحرير عن مؤتمر فلسطيني يعقد في الجامعة العربية وتدعى إليه جميع الفصائل الفلسطينية على رأسها حماس والجهاد والفصائل الأخرى ، وإعلان المصالحة والتنسيق ، وإعلان الدولة الفلسطينية ، حتى يتسنى للقمة الإسلامية الاعتراف بها وإعلان المساندة المادية والمعنوية لها .

أما أمريكا واليهود ، فهذه هي أمريكا ، فلم ولن تفعل شيئًا ، بل ستظل أمريكا هي المدافعة عن اليهود وعن كيانهم ، حتى لو طالت يد اليهود أمريكا نفسها ، فماذا تنتظرون ؟ وماذا أنتم فاعلون !؟

بقلم / جمال سعد حاتم

باب الأدب

الإيمان .. ومزاياه

الحلقة الثالثة

بقلم د / السيد عبد الحليم محمد حسين

❋ عقيدة واضحة :

ولها مزايا لا تتوافر لغيرها من العقائد :

فهي واضحة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض، تتلخص في أن وراء هذا العالم البديع المنسق المحكم ربًّا واحدًا خلقه ونظمه، وقدّر كل شيء فيه تقديرًا، وهذا الإله - سبحانه - ليس له شريك، ولا شبيه، ولا صاحبة، ولا ولد : ﴿ بل له ما في السموات والأرض كلٌّ له قانتون ﴾ [البقرة : ١١٦] .

وهي عقيدة مقبولة، فالعقل دائمًا يتطلب الترابط والوحدة، وراء التنوع والكثرة، ويريد أن يرجع الأشياء دومًا إلى سبب واحد .

فليس في عقيدة التوحيد ما في عقائد التثليث أو المثنوية ونحوها من الغموض والتعقيد الذي يعتمد دائمًا على الكلمة المأثورة عند غير المسلمين ((اعتقد وأنت أعمى)) .

❋ عقيدة الفطرة :

وهي ليست غريبة عن الفطرة، ولا منافية لها، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن الكريم : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فِطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم : ٣٠] .

وصريح الحديث النبوي : ((كل مولود يُولد على الفطرة - أي على الإسلام - وإنما أبواه يُهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه)) . متفق عليه .

فدل على أن الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين .

أما الأديان الأخرى : من يهودية، ونصرانية، ومجوسية .. فهي من تلقين الآباء .

❋ عقيدة ثابتة :

فهي محددة لا تقبل الزيادة والنقصان، ولا التحريف والتبديل، فليس لحاكم من الحكام، أو مجمع من المجامع العلمية، أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية، أن يضيف إليها، أو يحور فيها، وكل إضافة أو تحرِير مردودة على صاحبها، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) ؛ أي مردود عليه . متفق عليه .

والقرآن الكريم يقول مستنكرًا : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشورى : ٢١] ، وعلى هذا فكل البدع والأساطير التي دست في بعض كتب المسلمين أو أشيعت بين عامتهم باطلة، مردودة لا يقرها الإسلام، ولا تؤخذ حجة عليه .

❋ عقيدة مبرهنة :

فهي لا تكتفي من تقرير قضاياها بالإلزام المجرد والتكليف الصارم، ولا تقول كما تقول بعض العقائد الأخرى : ((آمن ثم اعلم)) ، أو : ((أغمض عينيك ثم اتبعني)) ، أو : ((الجهالة أم التقوى)) ، بل يقول كتابها بصراحة : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ١١١] ، ولا يقول أحد علماؤها ما قاله القديس الفيلسوف النصراني ((أوغطسين)) : ((أومن

بهذا لأنه محال)) ! بل يقول علماؤها : ((إن إيمان المقلد لا يقبل)) .

وكذلك لا تكتفي بمخاطبة القلب والوجدان ، والاعتماد عليهما أساسًا للاعتقاد ، بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة ، والبرهان الناصع ، والتعليل الواضح ، الذي يملك أزمة العقول ، ويأخذ الطريق إلى القلوب ، ويقول علماؤها : إن العقل أساس النقل ، والنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح ، فترى القرآن في قضية الألوهية يقيم الأدلة من الكون ، ومن النفس ، ومن التاريخ على وجود الله ، وعلى وحدانيته وكماله .

وفي قضية البعث يدل على إمكانه بخلق الإنسان أول مرة ، وخلق السماوات والأرض ، وإحياء الأرض بعد موتها ، ويدلل على حكمته بالعدالة الإلهية في إثابة المحسن ، وعقوبة المسيء : ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم : ٣١] .

✸ عقيدة وسط :

فأنت لا تجد فيها إفراطًا ولا تفريطًا ، هي وسط بين الذين ينكرون كل ما وراء الطبيعة ، مما لم تصل إليه حواسهم ، وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من إله ، بل يحلون روح الإله في الملوك والحكام ، بل في بعض الحيوانات والنباتات ، مثل الأبقار والأشجار ، بل يحلون الإله في الكون كله حتى يصير الناسوت لاهوتًا ، واللاهوت ناسوتًا ، فقد رفضت الإنكار الملحد ، كما رفضت التعديد الجاهل ، والإشراك الغافل ، وأثبتت للعالم إلهًا واحدًا ، لا إله إلا هو : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون (٨٥) قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم (٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون (٨٧) قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون (٨٨) سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ [المؤمنون : ٨٤- ٨٩] .

وهي عقيدة وسط في صفات الإله :

فليس فيها الغلو في التجريد الذي يجعل صفات الإله مجرد سلوب لا تعطي معنى ، ولا توحي بخوف أو رجاء - كما فعلت الفلسفة اليونانية - فكل ما وصفت به الإله أنه ليس بكذا وليس بكذا ، من غير أن تقول : ما صفات هذا الإله الإيجابية ؟ وما أثرها في هذا العالم ؟

ويقابل هذا أنها خلت من التشبيه والتجسيم الذي وقعت فيه عقائد أخرى كاليهودية ، جعلت الخالق كأحد المخلوقين من الناس ، ووصفته بالنوم والتعب والراحة ، والتحيز والمحاباة والقسوة . و ... وجعلته يلتقي ببعض الأنبياء فيصارعه ، فلم يتمكن الربّ من الإفلات منه ، حتى أنعم عليه بلقب جديد !!

ولكن عقيدة الإسلام تقرر تنزيه الله - إجمالاً - عن مشابهة مخلوقاته : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١] ، ﴿ ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ [الإخلاص : ٤] .

ومع هذا تصفه تفصيلاً بصفات إيجابية فعالة : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه

السمٰوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، ﴿ إن بطش ربك لشديد (١٢) إنه هو يبدئ ويعيد (١٣) وهو الغفور الودود (١٤) ذو العرش المجيد (١٥) فعال لما يُريد ﴾ [البروج : ١٢- ١٦] .

وهي وسط بين التسليم الأبله الذي يأخذ عقائد الآباء بالوراثة ، كما يرث عنهم العقارات والأملاك : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أُمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

وبين الذين يريدون أن يعرفوا كنه كل شيء حتى الألوهية ، وهم بعد لم يعرفوا كنه أنفسهم التي بين جنوبهم ولا ماهية حياتهم ، وموتهم ، ولا كنه شيء من القوى الكونية المحيطة بهم ، فكيف يطمع العقل بعد ذلك في معرفة كنه الألوهية ؟ وهل يعرف النسبي كنه المطلق ، ويعرف المحدود كنه غير المحدود ؟ وهي مع هذا تفتح الباب للنظر في الكون والتفكير فيه : ﴿ قل انظروا ماذا في السمٰوات والأرض ﴾ [يونس : ١٠١] ﴿ أوَلم يتفكروا في أنفسهم ﴾ [الروم : ٨] ، ﴿ أوَلم ينظروا في ملكوت السمٰوات والأرض وما خلق اللّٰه من شيء ﴾ [الأعراف : ١٨٥] ، ﴿ وفي الأرض آياتٌ للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تُبصرون ﴾ [الذاريات : ٢٠، ٢١] .

وهي وسط في علاقتها بالعقائد الأخرى ، فلا تقبل الذوبان في غيرها ، بل تدعو في قوة إلى الثبات عليها ، والاستمساك بها : ﴿ فتوكل على اللّٰه إنك على الحق المبين ﴾ [النمل : ٧٩] ، ﴿ فاستمسك بالذى أُوحى إليك إنك على صراطٍ مستقيم ﴾ [الزخرف : ٤٣] .

ولكنها لا تتعصب ضد غيرها من العقائد السماوية : ﴿ اللّٰه ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ [الشورى : ١٥] ، بل يتسع صدرها لما يخالفها : ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ [الكافرون : ٦] ، ﴿ لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريءٌ مما تعملون ﴾ [يونس : ٤١] ، تهيب بأصحابها أن يدعو إليها : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى اللّٰه ﴾ [فصلت : ٣٣] ، ولكنها لا ترضى بإكراه أحد على اعتناقها : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، لا تقبل التهاون في موادة من يحاربونها ، ويضعون العراقيل في سبيلها ، وإن كانوا من ذوي القرابة القريبة : ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون باللّٰه واليوم الآخر يُوادون من حادَّ اللّٰه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، ولكنها لا تقبض يد البر والمعونة عمن يخالفها ، ولا يعتدي على أهلها : ﴿ لا ينهاكم اللّٰه عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن اللّٰه يحب المقسطين ﴾ [الممتحنة : ٨] .

وهي وسط بين الذين يتساهلون في إثبات العقائد ، فيقبلون الظنون والشكوك والأوهام ، وهذا معين لا ينضب لقبول الخرافات والأساطير ، وبين الذين لا يقبلون في العقيدة أي خطرة تمر بالذهن ثم تختفي ، أو هاجس يهجس في النفس ثم يزول . لقد رفضت عقيدة الإسلام الظن في أصول العقيدة - فضلاً عن الشك أو الوهم - قال سبحانه : ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنًّا إن الظن لا يغنى من الحق شيئًا ﴾ [يونس : ٣٦] ، ﴿ إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل اللّٰه بها من سلطانٍ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ [النجم : ٢٣] ، ﴿ وما لهم به من علمٍ إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئًا ﴾ [النجم : ٢٨] .

ومع هذا تسامحت في الخواطر التي لا يسلم منها العقل البشري ، بل اعتبرتها أحيانًا دليل يقظة العقل ، ومظنة الطمأنينة ، وعلم اليقين . قال بعض الصحابة : يا رسول اللّٰه ، إنا نجد في أنفسنا ما لو أن نصير حممًا - يعني : فحمًا محترقًا - أهون من أن نتكلم به - يعنون خطرات ترد عليهم في قضايا الألوهية - فقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في صراحة وقوة : ((أو قد وجدتموه ؟ ذاك صريح الإيمان)) . رواه البخاري وغيره .

ويروي الحاكم أن ابن عباس ، وابن عمر التقيا ، فقال ابن عباس : أي آية في كتاب اللّٰه أرجى ؟ فقال ابن عمر : قول اللّٰه : ﴿ وإذ قال إبراهيم ربِّ أرنى كيف تحيى الموتى قال أوَلم تُؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، فرضي منه بقوله : ((بلى)) ، فهذا لما يعترض في الصدر مما يوسوس به الشيطان .. إنها وسوسة الشيطان سرعان ما يطردها إلهام الملك في قلب المؤمن ،

إنها طيف يلوح ثم يختفي ، وهاجس يهجس ثم يزول بإسلام الوجه لله ، والاعتصام بهداه ، وتلاوة آياته : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراطٍ مستقيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٠١] ، ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ [لقمان : ٢٢] .

وهي وسط في أمر النبوة ، فلم ترفع الأنبياء إلى مقام الألوهية ، فيتجه الناس إليهم بالعبادة أو الاستعانة مع الله ، كما اعتقد أهل الملك في أنبيائهم .. ولم تنزل بهم إلى مستوى السفلة من الناس ، فتنسب إليهم ارتكاب الموبقات ، وفعل المنكرات ، من شرب للمسكرات ، واتباع للشهوات - بل قتل للنفوس في سبيلها - كما رأينا في وصف أسفار العهد القديم للأنبياء .

وإنما الأنبياء في عقيدة الإسلام بشر أصفياء ، علم الله طيب معادنهم ، وحسن استعدادهم ، فأنزل وحيه عليهم : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [الأنعام : ١٢٤] ، وجعلهم أسوة لأتباعهم ، وعصمهم من قبائح الذنوب ، ودنيء الأعمال ، حتى لا يتوجه إليهم وعيد الله : ﴿ أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] ، وحتى يكونوا أهلاً لعهد الله : ﴿ قال لا ينالُ عهدى الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

وهي عقيدة وسط في قضية الإرادة الإنسانية ، قضية الجبر والاختيار ، تلك القضية التي حار العقل البشري في الوصول إلى رأي فيها ، وتنازع فيها الفلاسفة وعلماء الأخلاق والنفس والتربية وغيرهم منذ تفلسف الإنسان إلى اليوم .

وعقيدة الإسلام في هذا هي العقيدة الوسط المطابقة للفطرة السليمة ، والواقع المشاهد ، فالإنسان في دائرة أعماله الاختيارية - حر مسئول عن قوله وعمله ، له أن يفعل وأن يترك ، وأن يقدم وأن يحجم - كما تشهد بذلك بديهته وإحساسه ، وكما تشهد نصوص القرآن : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [الكهف : ٢٩] ، ﴿ إن هذه تذكرةٌ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ﴾ [المزمل : ١٩] ، ﴿ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ [المدثر : ٣٧] ، ﴿ من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ [الجاثية : ١٥] ، ﴿ لا تُكلف نفسٌ إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٣٣] . إلى غير ذلك من آيات تبلغ المئات كلها تقرر حرية الإنسان ، ومسئوليته عن عمله .

ولم يكتف القرآن الكريم بهذا التقرير الإيجابي ، ولكنه حمل بقوة على الجبريين الذين يلقون بشركهم وأوزارهم على كاهل القدر ، محتجين بمشيئة الله ، فقال : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيءٍ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ [الأنعام : ١٤٨] . ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيءٍ نحن ولا آباؤنا ولا حرَّمنا من دونه من شيءٍ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ [النحل : ٣٥] . ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلالٍ مبينٍ ﴾ [يس : ٤٧] .

ولكن الإنسان - كما هو الواقع - ليس مطلق الإرادة ، كامل الاختيار ، بحيث يفعل كل ما يشاء ، وينفذ كل ما يريد ، ولو فعل لكان إلهًا .

ولن يستطيع أحد - مهما بلغ للانتصار للحرية الإنسانية - أن ينكر هذه المحدودية لإرادة البشر ، فقد حكموا فيه الوراثة ، أو البيئة ، أو كليهما ، وقال بعضهم : ((الإنسان حر في ميدان من القيود)) . حتى أولئك الماديون الجدليون قيدوه بوسائل الإنتاج ، وظواهر الاقتصاد ، فنزلوا بالإنسان إلى أحط مستوى من ((الجبرية)) حين جعلوه عبدًا خاضعًا لمظاهر المادة .. لا سيدًا مهيمنًا عليها كما يقرر الإسلام .

هذه الحقيقة المتفق عليها قررها الإسلام في صورة أشرف وأكرم للإنسان ، فهو حر مختار في دائرة ما رسم الله للوجود من سنن ، يجريها بعلمه وحكمته ومشيئته على أجزاء الكون كله ، ومنها هذا الإنسان ، فهو حر ؛ لأن الله أراد الحرية ، أو هو يشاء ؛ لأن الله هو الذي قدر له أن يشاء : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

وللحديث بقية إن شاء الله .

العولمة رؤية إسلامية

نشأ هذا المصطلح في الفترة الأخيرة من عقد التسعينيات بعد إعلان الولايات المتحدة الأمريكية ما يسمى بالنظام العالمي الجديد ، وإمعانًا من القطب الأوحد الأمريكي الذي يتحكم أعلن في مرحلة تالية ما يسمى بـ ((العولمة)) ، وقد عرّف العلماء هذا المصطلح بمعنى الكونية ؛ أي تحول العالم إلى قرية واحدة تتحكم فيها الولايات المتحدة ، ومن شايعها من الدول الغربية بغرض إحكام السيطرة على الكرة الأرضية ومنع قيام أي قوة مناوئة لهذا الاتجاه الغربي في العالم مستقبلاً .

ومن وجهة نظري أن هذا النظام يتسم بمخاطر ينبغي على المسلمين أن يتأهبوا لمواجهته وتقليل آثاره على النحول التالي :

١- ينبغي أن يعلم المسلمون أن الغرب يريد لهم الشر ، وأن هذا النظام امتداد للحروب الصليبية والغزو الفكري ودك معاقل النظام الإسلامي وشريعته ، قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

٢- هذا النظام امتداد لتأكيد علمانية الكرة الأرضية وأبعادها ما أمكن عن وحي السماء وشريعة الإسلام .

٣- هذا النظام يستهدف في الأساس العالم الإسلامي ، حيث إن هذا العالم هو يمثل غالبية دول العالم الثالث ، وقد سبق أن بينا في مقال بعنوان (المسلمون والنظام العالمي الجديد) مقولة نيكسون : إنه ينبغي على الغرب أن يتخذ الإسلام عدوًا جديدًا بديلاً عن الشيوعية المنهارة .

٤- من أهم ركائز العولمة وسماتها :

أ- البث الإعلامي المباشر المتمثل في القنوات الفضائية والأقمار الصناعية .

ب- شبكة الإنترنت الدولية .

جـ- اتفاقية الجات ، وهي تمثل النظام الاقتصادي .

٥- نظام العولمة مفروض علينا - رضينا أم أبينا - وليس اختيارًا لنا كما صرح بذلك الدكتور / أسامة الباز مستشار الرئيس للشئون الخارجية .

وعليه فينبغي للمسلمين والعرب أن يتعرفوا على مزايا هذا النظام فيأخذوها ، وعلى عوراته وعيوبه فيتركوها ويحذروها ، حفاظًا على البيضة والهوية والعقيدة والدين ، ومن أجل ذلك ينبغي أن نتعرف على أخطار العولمة لنقلل من سلبياتها ومخاطرها على مستقبل العرب والمسلمين .

ومما تجدر الإشارة إليه أننا لا ينبغي علينا أن نستسلم لمخططات العولمة على أنها مفروضة علينا ، وإنما علينا أن نبذل قصارى جهدنا في دفع أخطارها وتحويلها لصالحنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

ومما يتعلق بالبث المباشر الذي هو المظهر الأول من مظاهر العولمة ، فإن الدول الغربية اتجهت إلى غزو العقول والأفكار بديلاً عن الغزو العسكري للأسباب الآتية :

١- الغزو الفكري بوسائل الإعلام يتسلل إلى العقل والفكر دون أن يشعر به أحد بخلاف الغزو العسكري الذي يثير غضب الشعوب وثورتها .

بقلم د / الوصيف علي حزة

مدير إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام

٢- أن الغزو الفكري يتفادى كل أسباب المقاومة ، خاصة عند ضعف العقيدة الإسلامية .

٣- أن الغزو الفكري غير مكلّف ، كما هو الحال بالنسبة للحروب العسكرية .

٤- أن الغزو الفكري عن طريق وسائل الإعلام يحقق دخولاً كبيرة ، وأموالاً طائلة للدولة المسيطرة عليه ، وهي الغربية بالطبع ، من جراء تصديرها للأفلام والمسلسلات وتقنيات الإذاعة والتلفاز بصفة عامة ، والأقمار الصناعية والقنوات الفضائية بصفة خاصة .

٥- أن الغزو الفكري آتى ثماره بالفعل في كثير من البلاد ، حتى رأينا مظاهر التغريب في العادات والتقاليد والملابس والمآكل وحفلات أعياد الميلاد والزواج تتخذ النموذج الغربي قدوة لها ، وللأسف يظهر ذلك في البلاد الإسلامية واضحًا .

وفيما يتعلق بشبكة الإنترنت ، فإن جل ما يُبث فيها عن طريق الدول الغربية وعليه فإن السيطرة العلمية للغرب على هذه الشبكة واضحة جدًا ، ويمكن لأي مشترك أن يكتشف ذلك بسهولة ، ومن مخاطر شبكة الإنترنت أنها تستقبل يوميًا ملايين الصور الخليعة من جهات أوربية وأمريكية ، ولذلك ينبغي على مستخدمي هذه الشبكة أن يميز بين التقنيات العلمية المفيدة ، وبين أخبار الساقطين والساقطات .

وأما بالنسبة لاتفاقية الجات ، أو ما يعرف بتحرير التجارة ؛ فهي دعوة لفتح الحدود بين الدول الصناعية الغنية ، وبين الطرف الضعيف الذي مازال يحبو في مجال التصنيع المحلي ، وخطوة كهذه من شأنها أن تجعل هذه الدول الضعيفة - ونحن منها - إلى سوق لتصريف بضائع الدولة الغنية ، مما يعرض الصناعات المحلية للخطر ، ويؤدي إلى مزيد من التبعية للغرب ، والاعتماد عليه في كل الشئون ، ومهما زعم الذين يقولون بأننا سنحمي الصناعة الوطنية ، فإن التيار جارف ويحتاج إلى ضوابط قوية لحماية بلادنا وأوطاننا من هذا الغزو القادم ، وأرى أنه لا سبيل أمامنا إلا بإقامة تكتل عربي إسلامي للاعتماد على الذات والكفاية الاقتصادية ، والله تعالى أعطانا المال والأرض والأيدي العاملة : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ولسائل أن يسأل : كيف السبيل إلى علاج هذه المشكلة والمعادلة الصعبة وهي الحفاظ على الهوية الإسلامية والاستفادة من هذا النظام العالمي الجديد بدون الذوبان فيه ؟

أقول وبالله تعالى التوفيق والعون :

أولاً : بالنسبة للبث المباشر ، فإننا ينبغي علينا أن نمتلك وسائله : كالأقمار الصناعية ، والمحطات الأرضية . وقد أطلقت مصر قمرها الصناعي الأول ((نايل سات)) ، ويحمل (٨٠) قناة فضائية ، لكننا يجب علينا ألا نقلد الغرب في فنونه ورقصه وإفساده وصده عن سبيل الله ، وإنما يجب علينا أن نقوم ببث ما يعبر عن حضارتنا الإسلامية ومحاسن شريعتنا ، ونناقش الغرب من خلال هذه القنوات بلغته حول أهمية الإسلام بالنسبة للعالم ، وكيف أن الغرب قام بتحريف الدين وإفساد الأخلاق ، والإغراق في المادية الكافرة ، لكن - للأسف - فإن معظم القنوات الفضائية العربية والإسلامية هي صورة مشوهة لقنوات الغرب ، وهي مسخ مشوه لفنونه وببغاء عمياء تردد بلا وعي ما يقوله الغرب ، فإلى الله المشتكى .

يجب على الأمة العربية والإسلامية أن تضطلع بدورها في مجال دعوة الأمم الأخرى إلى الإسلام ؛ تحقيقًا لقول الله جل وعلا : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

لكنني أوجه سؤالاً إلى السيد وزير الإعلام المصري : هل تخشى أن يتهمنا الغرب بالتطرف الديني إذا قمنا ببث قناة فضائية إسلامية تغزو الغرب في عقر داره ؟ وما هو السبب وراء إلغاء فكرة القناة الإسلامية ، هل هان علينا الإسلام فأصبح لا يساوي عندنا أخبار الكرة وحفلات الكريسماس ؟

إنني من فوق منبر مجلة التوحيد أحذر من مخاطر البث المباشر المتمثل في :

١- السيطرة على الأخبار والأحداث ، فالدول الغربية تمتلك ٩٠٪ من طيف الذبذبات الإذاعية ، بينما تمتلك الدول النامية ١٠٪ فقط .

٢- تشويه الإسلام والتنفير منه عن طريق إظهار العرب والمسلمين بمظهر الإرهاب والتطرف وأعداء الحضارة.

٣- تشويه عقيدة التوحيد من خلال بث المعتقدات النصرانية والتبشير بالمسيحية والتعاليم الكنسية

٤- إظهار صور الأنبياء والمرسلين من خلال المسلسلات والأفلام للإساءة إليهم ، ومعلوم أنه لا يجوز تمثيل الأنبياء ، لقداستهم عند الله عز وجل .

٥- التعود على رؤية المنكرات وعدم إنكارها ، وقد أمرنا الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ۝٣٠ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾ [النور : ٣٠، ٣١] .

٦- انتشار الجرمية والعنف بين الشباب ، وقد اقتبس كثير من مرتكبي الجرائم أفكارهم الإجرامية من خلال الأفلام ، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة : ٢] .

٧- فقد الهوية الإسلامية ، وصبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة الأوروبية .

يقول الأستاذ فهمي هويدي : خرج الاستعمار الفرنسي من شوارع تونس عام ١٩٥٦م ، ولكنه رجع إليها عام ١٩٨٩ م ، لم يرجع إلى الأسواق فقط ، ولكنه رجع ليشاركنا السكن في بيوتنا والخلوة في غرفتنا ، والمبيت في أسرة نومنا ، رجع ليقضي على الدين واللغة والأخلاق ، كان يقيم بيننا بالكره ، ولكنه رجع لنستقبله بالحب والترحاب ، كنا ننظر إليه فنمقته ، أما الآن فنتلذذ بمشاهدته والجلوس معه ، إنه الاستعمار الجديد لا كاستعمار الأرض ، وإنما استعمار القلوب ، إن الخطر يهدد الأجيال الحاضرة والقادمة ، يهدد الشباب والشابات والكهول والعفيفات والآباء والأمهات . [جريدة الأهرام : ١٩٨٩/٩/٢٧م] .

٨- إفساد العلاقات الأسرية عن طريق بث الأخلاق الغربية في اتخاذ الخليلات ومراقصة الأجانب في الحفلات ، مما يعود المسلم على تقبل الفساد والرضا بالمنكرات .

٩- إضعاف اللغة العربية ، وإحلال مفردات أجنبية مكانها ، وإشاعة قيم غريبة عن قيم الإسلام والمسلمين .

وسائل مقاومة هذا الخطر :

١- اتباع المنهج الإسلامي في الإعلام ، من بث الحقيقة الصادقة المجردة والمؤيدة بالحقائق والأرقام المتفقة مع أخلاق الأمة وأهدافها .

٢- استخدام البث المباشر نشرًا للدعوة الإسلامية ، وتفنيد دعاوى الغرب والرد على المستشرقين والصليبيين الحاقدين على الإسلام والمسلمين .

٣- نقل الشعائر الإسلامية إلى أنحاء العالم ، كما هو واضح من خلال بث مناسك الحج والعمرة وصلاة الجمعة من المسجد الحرام له أثر واضح في إظهار الترابط الإسلامي وتوثيقه .

٤- عرض عقيدة الإسلام وعباداته وأخلاقه في صورة مبسطة غير معقدة تيسيرًا على عوام الأمة .

٥- عرض القصص القرآني والسيرة النبوية وتاريخ الصحابة لربط الأجيال بأصولهم الإسلامية الراسخة .

٦- الرد على المبشرين النصارى ، والحاقدين من اليهود ، وصد دعاواهم ضد الإسلام .

٧- تخصيص قنوات خاصة لنشر الدعوة الإسلامية ، وعدم المبالاة بدعاوى الغرب بأننا إرهابيون متطرفون ، ونرد عليهم ، فإن الغرب تثور ثائرته إذا رأى فتاة ترتدي الحجاب ، مما يؤكد الحقد الأسود في قلوبهم على الإسلام والمسلمين . ويراجع كتاب « أخطار البث المباشر » د . محمد عبد العزيز .

وبعد أخي المسلم إن دعاوى الغرب باسم الحرية هو وهم زائف ، فإن فرنسا قامت فيها الحكومة والشعب ضد فتاة مسلمة ارتدت الحجاب ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ .

مدرسة الإيمان
بدولة البحرين

تعلن عن حاجتها للوظائف التالية للعام الدراسى القادم ٩٨/١٩٩٩م

١- خبير تربوى «مستشار».

٢- موجهين تربويين وموجهات تربويات لجميع المواد الدراسية ضمن الشروط الآتية:

أ- الحصول على درجة الماجستير فى التخصص المطلوب.

ب- خبرة فى التوجيه التربوى لا تقل عن «٣» سنوات.

٣- مرشد تربوى ومرشدة تربوية ضمن الشروط الآتية:

أ- الحصول على درجة الماجستير فى الإرشاد التربوى «علم نفس».

ب- خبرة فى الإرشاد التربوى لا تقل عن ٥ سنوات.

٤- معلمين ومعلمات لجميع المواد الدراسية والمراحل التعليمية ضمن الشروط الآتية:

أ- الشهادة الجامعية فى التخصص المطلوب. ب- خبرة لا تقل عن ٣ سنوات.

جـ- إجادة خط النسخ.

٥- معلمين ومعلمات صف ضمن الشروط الآتية:

أ- الحصول على ليسانس شعبة تعليم أساسى تخصص لغة عربية أو رياضيات.

ب- خبرة لا تقل عن ٣سنوات. جـ- إجادة خط النسخ.

●● يفضل فى جميع الوظائف السابقة الحصول على دبلوم التربية بعد الشهادة الجامعية.

٦- أخصائى مركز مصادر التعلم:

أ- الحصول على الماجستير فى علم المكتبات والتقنيات التربوية.

ب- إجادة استخدام الحاسب الآلى. جـ- إجادة اللغة الإنجليزية.

د- خبرة لا تقل عن ٣ سنوات.

● ترسل الطلبات معززة بالسيرة الذاتية وصورة عن الشهادات العلمية والخبرات وجواز السفر وصور فوتوغرافية مع عنوان صاحب الطلب ورقم الهاتف والفاكس إن وُجد - على العنوان التالى: «مدرسة الإيمان - ص.ب ٢٩٢٩٢ - شئون الموظفين - نوع الوظيفة المطلوبة» - آخر موعد لاستلام الطلبات ١٩٩٨/٨/١٠م.

● ستتم مخاطبة من يقع عليه الترشيح للتقدم للاختبار التحريرى والمقابلة الشخصية، علما بأن التقدم للوظائف يكون عن طريق البريد فقط، وأن الأوراق المقدمة لا تسترجع.

سواك مكه
متوفر بعدة نكهات منعشه
Sewak Makkah
Available in various refreshing flavours

سواك مكه

Sewak Makkah®

أجمل هديه
لأغلى الأحباب

متوفر بعدة نكهات منعشه

متوفر بعدة نكهات منعشه

وكلاء التسويق في العالم مؤسسة يارا للتجارة والتسويق

المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف: ٢٣٢٧٣٣٦(١-٠٠٩٦٦)-فاكس:٢٣٠١٩٣٢(١-٠٠٩٦٦) - ص. ب ٢٦٤٣٣ الرمز ١١٤٨٦

YARA MARKETING CORPORATION WORLDWIDE AGENTS

Tel.: (00966-1)2327336 Fax :(00966-1) 2301932 P.O. Box 26433, Code 11486 Riyadh Kingdom of Saudi Arabia

تصميم وكالة يارا العالمية
(966-3)8982200

NATURAL FLAVOUR
MINT FLAVOUR